



والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

مُتَلَمَّتْ

كنت قد كتبت تسع مقالات متتابعة بجريدة "المصري اليوم" بعنوان "الإخوان المسلمون على مفترق الطرق" خلال المدة من ١٠/١٤ إلى ١٢/١٦/٢٠٠٩م.

وظفرت هذه المقالات بإعجاب الكثيرين ، وإن أثارت غضب ونقد آخرين ، ولكن الجميع اتفقوا أن الموضوع هام ، وإنه يستحق المزيد من الكتابة ، وأن يكون ذلك في شكل كتاب يمكن أن يكون مرجعاً للمهتمين بهذا الموضوع .

ولما كنت لا أريد أن أتقل على القراء بمرجع ضخم ، لا يقدر عليه إلا الخاصة ، لأن الفكرة هي إعطاء القراء الذين لديهم عناية بالموضوع فكرة كاملة ولكن في سهولة ويسر ، فقد جعلت الإضافة في حدود ثلاثين صفحة تقريباً .

ومما يستحق الإشارة أننا عالجت موضوع الإخوان المسلمين في كتاب "خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه" الذي صدر عام ١٩٩٠م ، وكتاب "مابعد الإخوان المسلمين" الذي صدر عام ١٩٩٦م ، وإنا عنيينا في الفترة الراهنة بنشر عدد كبير من وثائق الإخوان المسلمين التي تعد مجهولة ، وجدها لدى بفضل وشيخة النسب وما عهد إلى الإمام الشهيد من مهام

في الأربعينات ، وقد صدرت ثلاثة أجزاء كبيرة والجزء الرابع في دور الإعداد ، وقد يكون هناك خامس .

أود أن أؤكد في هذه المقدمة إنني عندما اقترحت على الإخوان أحد خيارين هما "الجهاد في القرية المصرية" والثاني هو "إسلام العدالة والتنمية" إنما كنت أريد أن أفتح طريقًا للإخوان يخرجهم من مأزقهم ويفتح لهم أفق العمل الإسلامي ، وإن كان بغير الصورة التي أملوها أول مرة بقوة فعل دفعة البداية وسحر المثل الذي أرادوا إعادته مرة أخرى وبعثه من أعماق التاريخ مَثَل حكم الرسول للمدينة ودولة الخلفاء الراشدين ، دون أن يضعوا في اعتبارهم استحالة ذلك تاريخيًا ووجود مقتضيات عديدة لم تكن موجودة قديمًا ، فضلاً عن التناقض ما بين السلطة التي هي جوهر الدولة ، والقيم التي هي جوهر الأديان ، وهذه كلها عوامل لم تكن بادية ، أو يحسب لها حساب عندما بدأ الأستاذ البنا بدايته الباهرة مدفوعًا بكل ما فيه من شباب وقوة بقدر ما في المثل النبوي-الراشدين من سحر وإبهار ، وإنني أردت أن أجنبهم خيبة مثل الخيبات التي انتهت إليها كل محاولات إقامة دولة إسلامية ، وأبرزها مأساة السودان التي تسبب فيها مفكر إسلامي تربي في مدرسة الإخوان ثم أبدع فكرته الإسلامية عن إقامة الشريعة اقتحم بها مجال السياسة ونُظم مؤامرة عسكرية حملته إلى السلطة ، فكان الرد انشقاق الجنوب وتضخم الحرب الأهلية ، ثم أبت السياسة إلا أن تظهر ثمرها المر فأفسدت الأمر بين شريكي الحكم وأصبحت عدوين ، وكانت ضحية ذلك السودان ، وقد سبقها فشل مجاهدي الأفغان عندما تغلبوا على الاتحاد السوفيتي في تكوين دولة ، لأن السلطة أفسدت بينهم حتى صاروا أعداء فظهرت طالبان وقضت عليهم ،



ثم أقامت دولة تكاد تطبيقاً لما تعلموه في مدرسة "ديوبوند" التي تركز على السنة فأضحكوا العالم عليهم ، ولم يعترف بها سوى باكستان واحتضنت بن لادن فتداعت عليهم قوى العالم وجعلت الأفغان ميدان حرب تدمر مرافق الدولة ، وتسفك دماء الشعب بلا حساب .

أقول ختاماً للخاتمة إنه بقدر ما تعمل الدعوة في الأمة وبين الناس بالحكمة والموعظة الحسنة بقدر ما ينتعش الإسلام ويزدهر ، وبقدر ما تعمل الدعوة عن طريق السلطة والحكم بقدر ما يذوى الإسلام في الأمة .

الإسلام هداية وسلام .. والسلطة قهر ورشوة ، الإسلام طهارة وعطاء .. والسلطة غنم وكسب ، الإسلام إخلاص .. والسلطة احترام ، الإسلام يملك القلوب بالإيمان .. والسلطة تخضعها بالإرهاب ، الإسلام قيم ومبادئ .. والسلطة إرهاب وسيطرة ، الإسلام مجمع القيم .. والسلطة مجمع الإغراءات .. إغراء المال .. إغراء الحكم .. إغراء الجنس .. ظلمات بعضها فوق بعض ، فهل يمكن أن تقدم شيئاً للإسلام .

لعلي بهذا الكتاب ، وهذه الخاتمة أن أكون قد قمت بواجب نحو هذه الهيئة الإسلامية العزيزة .. كبرى الحركات الإسلامية الواقفة على مفترق الطرق .. هداها الله .

اللهم قد بلغت .. اللهم فاشهد .

جمال البنا

www.gamalalbanna.com
info@gamalalbanna.com
gamal_albanna@yahoo.com

الفصل الأول مقدمات

ربطت بيني وبين الإمام الشهيد حسن البنا في الفترة من ١٩٣٨م إلى ١٩٤٨م علاقة فريدة ، فيها شجا وشجو ، وانتلاف واختلاف ، فيها تقدير متبادل ، كان الإمام الشهيد هو عميد أسرتنا ، وكنا عندما نتحدث عنه نقول "الأستاذ" ، وقد كان أستاذاً لي بالفعل في السنة الأولى الابتدائية بمدرسة الإسماعيلية ، ومع إنني كنت "النقيض الجدلي" له فإن هذا لم يؤثر على العلاقة بيننا ، وكان هناك سبب آخر هو إنني من أيامي الأولى رفضت المجتمع البورجوازي ، فلم أطمح لأن أكون طبيباً يمضي نهاره في المستشفى وليله في العيادة ، أو محامياً يمضي نهاره في المحاكم وليله في المكتب ، لأن مثل هذه المهمة ستستولى على وقتي وتأخذني في دوامتها ، في حين إنني كنت أريد أن أكون كاتباً يمضي كل وقته في القراءة والكتابة ، وكان بمكتبة الأسرة من الكتب والمراجع ما يفوق ما ستقدمه لي أي كلية ، فانتهزت فرصة شجار حدث بيني وبين مدرس اللغة الإنجليزية - وهو إنجليزي - خلال دراستي في السنة الأولى بمدرسة الخديوية الثانوية ، لأن أرفض الاستمرار في الدراسة ، وآثرت نوعاً من البطالة الاختيارية وأمضيت كل الوقت في القراءة والكتابة بحيث صدر لي أول كتاب سنة ١٩٤٥م ، ولم يكن عندي مشكلة ، فقد كنت أحصل على مبالغ زهيدة لقاء بعض

الأعمال العرضية ، كالترجمة من الإنجليزية إلى العربية وغيرها ، وكانت هذه المبالغ أشبه بمصروف جيب ، لأن الأسرة لم تكن لتضيق بي ، وهذا الوضع جعل الأستاذ البنا يشعر بنوع من المسؤولية باعتباره الشقيق الأكبر وعميد العائلة ، فكان إذا انس أزمة موشكة يكل إلى بعض الأعمال التي يعلم إنني أقبلها ، وعن هذا الطريق توليت إدارة مطبعة الإخوان المسلمين في فترتين ، كما جعلني سكرتير تحرير مجلة "الشهاب" التي كان يصدرها على غرار "منار" السيد رشيد رضا وشهاب وابن باديس ، وكانت هيئة تحريرها تتكون منه رئيساً ومن الأستاذ سعيد رمضان مديراً وجمال البنا سكرتير تحرير .

رغم أن العلاقة بيننا كانت أشبه بالنقيض الجدلي بالأصل ، فإنها كانت وثيقة ، وكان لي تحفظات على سياسة الإخوان بالنسبة للمرأة ، أو الفنون والآداب ، أو الحرية ، كنت أدلي له بها وكان يسمعها ولا يعلق عليها وسأوضح في سطور تالية سر ذلك ، ولم يحاول أن يضمني للإخوان إلا في مناسبتين في الأولى كان يتحدث فيها عن رشيد رضا وابن عمه الذي كان سكرتيه وحافظ تراثه بطريقة فهمت منها أنه يريد أن أكون كذلك ، فصمت فقد كان عزيزاً عليّ أن أرفض ، كما كان صعباً عليّ أن أقبل ، وفهم هو بلماحيته الموقف وغير الحديث ، والمرة الثانية عندما قبض البوليس عليّ سنة ١٩٤٦م لأنني كنت قد أسست حزباً باسم "حزب العمل الوطني الاجتماعي" ، وطبع منشورات في ذكرى الاحتلال البريطاني وقتها ، وكنت اشرف على توزيعها ، وعندما علم الأستاذ البنا أرسل أحد أعوانه إلى اللواء سليم زكي الذي أمر بالإفراج فوراً ، وعقب ذلك قال لي "أنت تكدح في أرض قاحلة ، في حين أن لدينا أشجاراً مثمرة ، فتعال

معنا" ، فقلت له إن ثمار الإخوان ليست هي الثمار التي أريدها ، ولم يصدمني ، وقال لي "إذن غير اسم الحزب إلى جماعة حتى لا تصطدم بالسلطة" ، وقبلت الفكرة وغيّرت الاسم فأصبح "جماعة العمل الوطني الاجتماعي" .

وكان الأستاذ البنا متابعًا تقدمي الفكري ، وعندما أصدرت رسالة عن المفاوضات التي كانت تجري وقتئذ (سنة ١٩٤٦م) بعنوان "على هامش المفاوضات" وأهديته نسخة منها ، قرأها وأعجب بها وروي لي صديقي الشيخ عبد العزيز الخياط وزير الأوقاف الأسبق في الأردن أنه كان وقتئذ يطلب العلم في الأزهر ، وأنه زار ومجموعة من الإخوان المرشد فوجده يقرأ في رسالة "على هامش المفاوضات" ، وقال لهم "تعلموا السياسة من هذا الشاب ، إن جمال كتب رسالة حسنة عن المفاوضات" .

وقد أسعدني إني تمكنت من إصدار كتاب "خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه" الذي ترجمت فيه لحياة الوالد ، ثم عرضت لعمل حسن البنا في الإسماعيلية والقاهرة من واقع خطابات أرسلها إلى والده ، كما أصدرت "ما بعد الإخوان المسلمين" الذي صورت دور حسن البنا في تنظيم الدعوة الإسلامية ، وأخيرًا فقد تصديت لعمل عظيم هو إصدار كتاب ضخم عن "من وثائق الإخوان المسلمين المجهولة" في ٤٨٠ صفحة والجزء الثاني من هذا الكتاب في المطبعة ، كما ينتظر أن ننشر جزءين أو ثلاثة قبل أن نفرغ من الوثائق المجهولة ، ولعلي في هذا قد حققت ما أراده حسن البنا عندما تحدث إليّ عن رشيد رضا وابن عمه الذي حفظ تراثه .

أعتذر إلى القراء عن هذه المقدمة ، ولكنها كانت فيما رأيت لازمة للرد على من يتساءل بأي حق يكتب جمال البنا عن الإخوان المسلمين ؟

وقبل أن نبدأ الحديث المباشر ، أرى أن من الضروري الإشارة إلى ضرورتين تتحكمان في الدعوة العامة :

الأولى : أنه إذا كان غرض الدعوة نشر الفكرة واجتذاب أكبر عدد من الأفراد لها ، فإن الدعوة عندئذ تأخذ طابعاً تنظيمياً ويصبح داعيتها منظماً ، وتستغرق مقتضيات التنظيم وقته بحيث لا يفرغ إلا قليلاً للتنظير ، خاصة بعد أن يصبح قائداً جماهيرياً يؤمن به عشرات الألوف ، إن القائد الجماهيري بقدر ما أنه يقود الجماهير ، فإن الجماهير تمسكه من أن يتقدم إلى ما يجاوز مستوى فهمها ، وفي هذه الحالة فإنه لا يستطيع أن يتقدم بها إلا ببطء وعلى مراحل وبالتدريج ، وهذا هو ما اضطر إليه حسن البنا ، فمع أنه كان مطلعاً وله ثقافة عريضة وأن ما كنت أقول عن تحفظات لم تكن مجهولة منه ، ولهذا لم يكن يرفضها إلا أنه لم يكن حراً في تطبيق كل ما يتمناه لأن مستوى الجماهير ما كان يسمح بذلك فأصبح الأستاذ البنا منظماً واستطاع أن يحقق في مجال التنظيم الإسلامي ما حققه روكفلر في صناعة النفط ، فقبله كان هناك العشرات من شركات النفط ، كل منها له عبواته ، وطريقة تكريره .. إلخ ، فجاء روكفلر فوحد هذا وأسس شركة "استاندرد أويل" التي أصبحت الشركة القياسية في صناعة النفط وانتسقت معها كل الشركات ، وقبل حسن البنا كان هناك العديد من الجماعات الإسلامية المعتنقة والمتفاوتة ، فأسس حسن البنا الإخوان المسلمين التي أصبحت الهيئة النموذجية التي من

عباءتها خرجت ، أو تمردت عليها كل الهيئات الإسلامية ، ولكن هذا جاء على حساب التنظير فلم يترك التنظيم له وقتاً مع أنه بحكم ذكائه قد اهتدى إلى مفتاح نظرية جديدة في الإسلام عندما حدد هدفه بأن يكون الإسلام منهج حياة ، وكان يأتي بعد موهن من الليل إثر نهار طويل مرهق إلى مكتب الشهاب ليكتب مقالاته ، على إنه لم يضق بذلك ، فقد بدأ في الدعوة في الشباب ، وكان يرسم سياسة مرحلية .. تدريجية يحقق فيها ما لم يستطع تحقيقه في الأولى بحيث يمكن أن يحقق في العشرين سنة التالية من التطور مثل ما فعل في العشرين سنة الأولى (١٩٢٨ - ١٩٤٨م) عندما حول الإخوان المسلمين من جمعية تكاد تكون صوفية في إحدى مدن القتال إلى هيئة دولية في القاهرة تقدم الإسلام كمنهج حياة ، وكان من حقه أن يأمل هذا ، ففي سنة ١٩٤٩م كان سنه ٤٢ ، ولكن الرجل لم يترك وعوجل وهو في قمة العطاء وجاء استشهاده المبكر هادماً لهذه التوقعات ، وكانت النتيجة أن فقد الإخوان العمق في التنظير الذي كان ممكناً أن يحول دون ما ورطتها الأحداث والأمال فيه .

والضرورة الثانية إن أي هيئة عامة تنجح ويصل حجمها إلى المستوى القومي ، لابد أن تصطدم بالسياسة ، فإن تركت السياسة ، فإن السياسة لا تتركها ؛ لأن الأحزاب والهيئات الكبرى تخشى منها وتريد أن تستقطبها ، وقد كانت الحركة النقابية البريطانية عندما نشأت أشد الهيئات بُعداً عن السياسة ، وكانت المادة الثانية من قانون كل نقابة تنص على أن هذه النقابة لا تشغل بالدين أو السياسة ، ولكن لما تضخمت الحركة ووصلت إلى المستوى القومي بدأت الأحزاب تحاول اجتذابها ، فاضطرت إلى تكوين حزب العمال ولكنها أعطته طابعاً قومياً

عندما فتحت فرعًا له في كل دائرة انتخابية يمكن لمن يشاء الانضمام إليه ، وفي الوقت نفسه فإن قاعدة الحزب هي النقابات وأصبحت النقابات مستقلة عن الحزب والحزب مستقل عن النقابات وحلت مشكلتها بذلك ، وتعرض الإخوان لهذا المأزق عندما أصبح لهم ألف شُعبة في مصر وفاق عددهم عن نصف مليون ، فناصرتهم الأحزاب العداء خاصة بعد أن أعلنوا أن رسالتهم تضم الإصلاح السياسي ، ولكن الإخوان لم يوقفوا إلى ما وفتت إليه الحركة النقابية في بريطانيا ، وهذه هي أزمة الإخوان المسلمين التي لم تحلها حتى الآن .

الفصل الثاني

الفكر الأساسي للإمام حسن البنا

(أ)

عندما خرج الإخوان من أزقة وأحشاء القاهرة إلى "وش" الدنيا في ميدان العتبة أولاً ثم في ميدان الحلمية ، وعندما رزقوا النجاح والتوفيق ، أعلن حسن البنا في محاضراته المتكررة أو في كتاباته عن الفكر السياسي للإسلام منها :

(١) المؤتمر الخامس الذي عقد في سراي آل لطفي سنة ١٩٣٨ وكان نقطة تحول في تاريخ الإخوان .

(٢) مؤتمر طلاب الإخوان الذي عقد سنة ١٩٣٨ بميدان العتبة وتحدث فيه عدد من مندوبي الطلاب وختمه الأستاذ البنا بعرض وافي له .

(٣) تقرير إجمالي .

(٤) رسالة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي .

ونحن نعرض هنا فكره من واقع رسائل الإخوان بكل أمانة ، وبعد عرضها سنقدم ملاحظتنا عليها ، وأعتقد أن على القارئ أن يُلم بهذا الفكر حتى تكون لديه فكرة عنه .. وله بالطبع أن يقبله أو يرفضه .

(١) في المؤتمر الخامس انتقد المفاهيم السائدة عن الإسلام ، فقال : "فمن الناس من لا يرى الإسلام شيئاً غير حدود العبادة الظاهرة فإن أداها أو أرى من يؤديها اطمأن إلى ذلك ورضي به وحسبه قد وصل إلى لب الإسلام ، وذلك هو المعنى الشائع عند عامة المسلمين ، ومن الناس من لا يرى الإسلام إلا الخلق الفاضل والروحانية الفياضة ، وهذا الغذاء الفلسفي الشهوي العقل والروح والبعد بها عن أدران المادة الطاغية الظالمة ، ومنهم من يقف إسلامه عد حد الإعجاب بهذه المعاني الحيوية العملية في الإسلام فلا يتطلب النظر إلى غيرها ولا يعجبهم التفكير في سواها ، ومنهم من يرى الإسلام نوعاً من العقائد الموروثة والأعمال التقليدية التي لا غناء فيها ولا تقدم معها ، فهو متبرم بالإسلام وبكل ما يتصل بالإسلام وتجد هذا المعنى واضحاً في نفوس كثير من الذين تقفوا ثقافة أجنبية ولم تتح لهم فرص حسن الاتصال بالحقائق الإسلامية فهم لم يعرفوا عن الإسلام شيئاً أصلاً ، أو عرفوه صورة مشوهة بمخالطة من لم يحسنوا تمثيله من المسلمين .

وقدم الإسلام كما يفهمه الإخوان المسلمون :

أولاً : نحن نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة تنتظم شؤون الناس في الدنيا وفي الآخرة ، وإن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحي مخطئون في هذا الظن - فالإسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، ومصحف وسيف - والقرآن الكريم ينطق بذلك كله ويعتبره من لب الإسلام ومن صميمه ويوصي بالإحسان فيه جميعه .

ثانياً : إلى جانب هذا يعتقد الإخوان أن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اللذان إن تمسكت بها الأمة فلن تضل أبداً .

ثالثاً : وإلى جانب هذا أيضاً يعتقد الإخوان المسلمون أن الإسلام كدين عام انتظم كل شئون الحياة في كل الشعوب والأمم لكل الإصاار والأزمان ، جاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشئون ويرشد الناس إلى الطريق العملية للتطبيق عليها والسير في حدودها .

وقال : إن فكرة الإخوان المسلمين (تضم كل المعاني الإصلاحية) .

وتحدث عن القوة والثورة ، فقال : إن الإسلام شعاره القوة في كل نظمه وتشريعاته ، فالقرآن الكريم ينادى في وضوح وجلاء : "وَأَعِثُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : "المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف" .

ولكن الإخوان المسلمون أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر فلا يغوصوا إلى أعماقها ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها ، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان ، يلي ذلك قوة الوحدة والارتباط ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح .

أما الثورة فهي أعنف مظاهر القوة ، فنظر الإخوان المسلمين إليها أدق وأعمق ، وبخاصة في وطن كمصر جرب حظه في الثورات فلم يجن من ورائها إلا ما تعلمون ، وبعد كل

هذه النظرات والتقديرَات أقول لهؤلاء المتسائلين إن الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدى غيرها ، وحيث يتقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة ، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون أولاً ، و ينتظرون بعد ذلك ثم يقدمون في كرامة وعزة ويتحملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح - وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها ، ولا يعتمدون عليها ، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها ، وإن كانوا يصارحون كل حكومة في مصر بأن الحال إذا دامت على هذا المنوال ولم يفكر أولو الأمر في إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذه المشاكل فسيؤدي ذلك حتماً إلى ثورة ليست من عمل الإخوان المسلمين ولا من دعوتهم ، ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال وإهمال مرافق الإصلاح ، وليست هذه المشاكل التي تتعقد بمرور الزمن ويستفحل أمرها بمضي الأيام إلا نذيراً من هذه النذر ، فليسرع المنقذون بالأعمال .

وتحدث عن الإخوان والحكم ، فقال : إن الحكم من العقائد والأصول ، وهو عروة من عرى الإسلام ، فإذا كان التشريع الإسلامي في واد والتشريع العملي والتنفيذي في واد ، فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف - هذا كلام واضح لم نأت به عند أنفسنا ، ولكننا نقرر به أحكام الإسلام الحنيف ، دفع هذا فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم ، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة والحكم بمنهاج إسلامي قرآني فهم جنوده وأنصاره وأعوانه ، وإن لم

يجدوا فالحكم من مناهجهم ، وسيعملون لاستخلائه من ايدي كل حكومة لا تنفذ أوامر الله .

ومع هذا فالإخوان أعتل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال ، فلا بد من فترة تنتشر فيها مبادئ الإخوان وتسود ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

ورأى أن نظام الحكم الدستوري هو أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام ، وهم لا يعدلون به نظامًا آخر .

وإذا كان الله ورسوله قد حرم الزنا ، وحظر الربا ، ومنع الخمر ، وحارب الميسر ، وجاء القانون يحمي الزانية والزاني ، ويلزم بالربا ، ويبيح الخمر ، وينظم القمار ، فكيف يكون موقف المسلم بينهما ؟ أيطيع الله ورسوله ويعصى الحكومة وقانونها والله خير وأبقى ، أم يعصى الله ورسوله ويطيع الحكومة فيشقى في الآخرة والأولى ؟ فكيف يتأتى هذا مع قانون يبيح ويحمي هذا كله ؟

وتحدث عن الحدود الجغرافية التي تقسم العالم الإسلامي ، كما تحدث عن الخلافة كرمز لوحدة المسلمين .

وكان في هذا كله ملاحظًا الاعتبارات القائمة ويعتبر أن كل هذه قضايا يفصل فيها الزمان .

(٢) وفي مؤتمر طلبة الإخوان الذي عقده سنة ١٩٣٨م عُني الإمام الشهيد بأن يفرق ما بين السياسة والحزبية وقال : إن الفارق بعيد بين الحزبية والسياسة ، وقد يجتمعان وقد يفترقان ، فقد يكون الرجال سياسيًا بكل ما في الكلمة من معان وهو لا يتصل بحزب ولا يمت إليه ، وقد يكون حزبياً ولا يدري

من أمر السياسة شيئاً ، وقد يجمع بينهما فيكون سياسياً حزبياً أو حزبياً سياسياً على حد سواء ، وأنا حين أتكلم عن السياسة في هذه الكلمة فإنما أريد السياسة المطلقة ، وهي النظر في شؤون الأمة الداخلية والخارجية غير مقيدة بالحزبية بحال هذا أمر .

وانتقد الأستاذ البنا فكرة اقتصار الإسلام على العبادات ، فقال : فحدثوني بربكم أيها الإخوان ، إذا كان الإسلام شيئاً غير السياسة وغير الاجتماع ، وغير الاقتصاد ، وغير الثقافة ... فما هو إذن ؟ أهو هذه الركعات الخالية من القلب الحاضر ؟ أم هذه الألفاظ التي هي كما تقول رابعة العدوية : استغفار يحتاج إلى استغفار .. ألهذا أيها الاخوة نزل القرآن نظاماً شاملاً كاملاً محكماً مفصلاً : (تَبَيَّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ) (النحل: ٨٩) .

أنا أعلن أيها الإخوان من فوق المنبر بكل صراحة ووضوح وقوة ، أن الإسلام شيء غير هذا المعنى الذي أراد خصومه والأعداء من أبنائه أن يحصروه فيه ويقيدوه به ، وأن الإسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ، وسماحة وقوة ، وخلق ومادة ، وثقافة وقانون ، وأن المسلم مطالب بحكم إسلامه أن يعني بكل شؤون أمته ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

الفصل الثالث

الفكر الأساسي للإمام حسن البنا

(ب)

نواصل ما جاء في مؤتمر طلاب الإخوان المسلمين عام ١٩٣٨م استكمالاً لنقطة السياسة والإسلام ، فقد صرح حسن البنا : إن المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسياً بعيد النظر في شؤون أمته ، مهتماً بها غيوراً عليها ، وأستطيع كذلك أن أقول إن هذا التحديد والتجريد أمر لا يقره الإسلام ، وأن على كل جمعية إسلامية أن تضع في رأس برنامجها الاهتمام بشؤون أمتها السياسية وإلا كانت تحتاج هي نفسها إلى أن تفهم معنى الإسلام .

وقال : أنه إذا أريد بالسياسة تنظيم أمر الحكم وبيان مهماتها وحقوقها وواجبها ومراقبة الحاكمين والإشراف عليهم ليطاعوا إذا أحسنوا وينقدوا إذا أساءوا ، فالإسلام قد عُني بهذه الناحية .

وكان للأستاذ البنا رأي سييء في الحزبية ، فقال : إن لي في الحزبية السياسية آراء هي لي خاصة ولا أحب أن أفرضها على الناس فإن ذلك ليس لي ولا لأحد ، ولكني كذلك لا أحب أن أكتهم عنهم ، وأرى أن واجب النصيحة للامة - وخصوصاً في

مثل هذا الظروف - يدعوني إلى المجاهرة بها وعرضها على الناس في وضوح وجلاء .

إن الحزبية السياسية إن جازت في بعض الظروف في بعض البلدان ، فهي لا تجوز في كلها ، وهي لا تجوز في مصر أبداً ، وخاصة في هذا الوقت الذي نستفتح فيه عهداً جديداً ، ونريد أن نبني أمتنا بناء قوياً يستلزم تعاون الجهود وتوافر القوى والانتفاع بكل المواهب ، والاستقرار الكامل والتفرغ التام لنواحي الإصلاح .

(٣) وفي التقرير الإجمالي عن خطوات الإخوان في عام ١٩٣٨م و١٩٣٩م والذي صدر تحت عنوان "تقرير إجمالي خاص" انتقد الأستاذ حسن البنا نظام الانتخابات السائدة وذكر نواحي القصور فيه :

(١) ما يحدثه الانتخاب في النفوس من آثار سيئة ، ولم أر إلى الآن انتخاباً واحداً أدى إلى اختيار الأكفاء العاملين أو لم يترك أثراً سيئاً في نفوس الآخرين أو لم يكن عرضة للمطاعن والمثالب من الذين خانهم الحظ فيه ، فالانتخاب فضلاً عن أنه لا يؤدي مطلقاً إلى اختيار الصالح الموافق للنهوض بعبء الأعمال فهو يوغر كثيراً من الصدور ويخلق كثيراً من المشاكل .

(٢) الحيرة بين وجهة المراكز الظاهرة وبين حقوق الإخوان العاملين من غير ذوي المراكز ، وكثيراً ما يكون الموقف غريباً ، قوم إداريون يمثلون الجماعة ولم يفقهوا مبادئها ولا ينشطون للعمل لها وقوم

مجاهدون غيرون تهضم حقوقهم ويقيدون بخطوات أبطأ من خطواتهم وهذا سر ما نراه في شُعب كثيرة للإخوان من وجود معسكرين مختلفين أحدهما معسكر إداري بطئ الخطوات متعثر المسير ، والثاني معسكر جاد عملي يسير مسرعاً غير مقيد بالأول ومن ذلك يكون التنافر بين الفريقين .

(٣) إيجاد قسم من الإخوان كل مهمتهم قضاء وقت في النقاش وإبداء الآراء من غير إنتاج عملي .

(٤) إيجاد بعض الأفراد يحتمون بالحق الإداري المكتسب لهم ولا يكون عن وجودهم إلا التعتيل والتشهير إذا لم تنفذ آراءهم وإن كانت غير صالحة وإن خالفت الجماعة .

وقال : فكرت طويلاً في وضع علاج حاسم لهذا الحال فاهتديت إلى خطة أعتقد أنها صالحة إن شاء الله محققة للأغراض المقصودة بدون عناء ولا ضرر ، بسيطة في إنفاذها ومضمونها وليس علينا من بأس أن نجرب ما يبدو معه وجه لإصلاح والزمن كفيل بإظهار ما فيه من قبح أو جمال وخلاصة هذه الخطة ما يأتي :

تكون لكل شُعبة من شُعب الإخوان "لجنة مراقبة عامة" مهمتها :

- (١) الإشراف العام على الدائرة .
- (٢) حفظ الأموال والأوراق والمستندات الرسمية .
- (٣) مراقبة الحسابات وفتح الاعتمادات وحصر الوارد والمنصرف .

- (٤) توزيع الأعمال المختلفة على من يحسنون القيام بها من الأعضاء ومراقبتهم ودراسة تقاريرهم الشهرية كل في الناحية التي يشغلها ومواخذة المقصر بتقصيره وشكر المحسن على إحسانه .
- (٥) الفصل في الخلافات بين الإخوان .
- (٦) الاتصال بالمكتب العام بالقاهرة وبقية شُعب الإخوان .
- (٧) التمثيل الرسمي والمعنوي لجماعة .
- (٨) تعيين الموظفين الذين يستدعي العمل بالدائرة تعيينهم .

تتكون هذه اللجنة من ثلاثة أشخاص فقط يختارهم المكتب بعد استشارة إخوان الدائرة وبعد دراسة دقيقة تتفق مع المهمة الملقاة على عاتقهم ويعين المكتب أحدهم مندوبًا للجنة يحل محل رئيس مجلس الشورى سابقا وتختار هذه اللجنة من بين الإخوان كاتبًا لها مهمته حفظ الأوراق والأختام وكتابة محاضر اجتماعاتها وتلخيص التقارير الواردة عليها وإبلاغ القرارات للمختصين بها ، وليس له صوت في الاجتماع ، ولها أن تستأنس برأيه إن أرادت ذلك وتختار كذلك من بين الإخوان أمينًا للمال مهمته حفظ الأموال وتسلمها بإيصالات وتسليمها بأذونات وإيداعها إذا اتفق على إيداعها في مكان خاص وليس له حق في التصويت كذلك وللجنة أن تستأنس برأيه إن أرادت .

وقال : ولا وأذيع على الإخوان سرًا إذا قلت لهم أنني منذ أول هذا العام الهجري المبارك أعني منذ سبعة شهور تقريبًا

وعقب مؤتمر عيد الأضحى الخامس سرت في مكتب الإرشاد العام على هذا النظام فحالت الهيئة القائمة وتحملت شخصياً كل مسؤولية تنجم عن هذا من تصرفات ونصت على هذا التحمل في سجل محاضر جلسات المكتب العام .

(٤) وفي رسالة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي (نظام الحكم) تحدث عن نظام الحكم حديث رجل ديمقراطي فهو يقيم نظام الحكم على ثلاث دعائم هي :

(١) مسؤولية الحاكم .

(٢) وحدة الأمة .

(٣) احترام إرادتها .

وعن مسؤولية تحدث عن "الوزارة" وأشار إلى وزارة التفويض كما في النظام الديمقراطي .. الكلاسيكي ، أي تكون الوزارة هي المسؤولة بينما يكون رئيس الدولة رئيساً فخرياً ، وعن وزارة التنفيذ كما في بعض النظم الديمقراطية التي تكون السلطة في يد رئيس الدولة بالفعل كما في الولايات المتحدة ، وقال : إن الإسلام لا يرفضها طبقاً لما تقتضيه المصلحة العامة ، وانتهاز الفرصة فأشار إلى غموض الدستور المصري فيما يتعلق بالملك ورئيس الوزارة .

أما عن وحدة الأمة فقال : إن الإسلام يفترضها افتراضاً ويعتبرها جزءاً أساسياً في حياة المجتمع الإسلامي ، لا يتساهل فيه بحال ، ورأى أن النظام النيابي يحققه ، ولما كانت الأحزاب سيئة فإنه اقترح حل الأحزاب وتجميع قوى الأمة في حزب واحد يعمل لاستكمال استقلالها وحريتها .. الخ .

وبالنسبة للدعامة الثالثة : احترام رأي الأمة عالج القضية الشائكة ، نظام الانتخابات ، ورأى أنه نظام سييء ، واستشهد بكلام الفقيه الدستوري الدكتور سيد صبري ، وكذلك د. بيومي مذكور ومريت غالي ، واقترح لإصلاحه :

(١) وضع صفات خاصة للمرشحين أنفسهم فإذا كانوا

ممثلين لهيئات فلا بد أن يكون لهذه الهيئات برامج واضحة وأغراض مفصلة يتقدم على أساسها هذا المرشح ، وإذا لم يكونوا ممثلين لهيئات فلا بد أن يكون لهم من الصفات والمناهج الإصلاحية ما يؤهلهم للتقدم للنيابة عن الأمة ، وهذا المعنى مرتبط إلى حد كبير بإصلاح الأحزاب في مصر ، وما يجب أن يكون عليه أمر الهيئات السياسية فيها .

(٢) وضع حدود للدعاية الانتخابية ، وفرض عقوبات

على من يخالف هذه الحدود ، بحيث لا تتناول الأسر ولا البيوت ولا المعاني الشخصية البحتة التي لا دخل لها في أهلية المرشح وإنما تنور حول المناهج والخطط الإصلاحية .

(٣) إصلاح جداول الانتخاب ، وتعميم نظام تحقيق

الشخصية ، فقد أصبح أمر جداول الانتخاب أمراً عجباً بعد أن لعبت بها الأهواء الحزبية والأغراض الحكومية طوال هذه الفترات المتعاقبة ، وفرض التصويت إجبارياً .

(٤) وضع عقوبة قاسية للتزوير من أي نوع كان ،

وللرشوة الانتخابية كذلك .

(٥) وإذا عدل إلى الانتخاب بالقائمة ، لا الانتخاب الفردي كان ذلك أولى وأفضل ، حتى يتحرر النواب من ضغط ناخبهم ، وتحل المصالح العامة محل المصالح الشخصية في تقدير النواب والاتصال بهم" .. انتهى عرض فكر الإمام حسن البنا .

فيلحظ هنا أن حسن البنا يتحدث في رسالة "مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي" كديمقراطي أصيل ، ويجب أن ننكر أن حسن البنا عاش ومات في المرحلة الليبرالية ، وأنه عايش ثورة ١٩١٩ مراهقاً وغنى أناشيدها ، وأن طبيعته كانت منفتحة .. منفسحة ، كما يلحظ أننا لا نرى كلمات "الشريعة" أو "الحكم بما أنزل الله" ، وبالطبع الحاكمية الإلهية ، بل أنه لم يجد حرجاً في أن يستشهد بمريت غالي القبطي الذي يمت إلى أسرة "كبير الطائفة" بطرس باشا غالي .

الفضيل الرابع

حق .. ولكنه ليس الوحيد

كان الإمام الشهيد يعرض شمول الإسلام بطريقة آخاذة ، فأولاً كان استكشاف هذا الشمول ، وأنه لا يقتصر على العقيدة والعبادة ، ولكن يضم مناشط الحياة ، في وقت اقتصر فيه الحديث عن الإسلام على علماء الأزهر وأئمة المساجد ، أمراً جديداً ويتفق تماماً مع ما جاء في القرآن وما طبقه الرسول ، وكان مؤمناً مطبوعاً تخرج الكلمة من قلبه لتصب في قلب السامع وتوفرت له مهارات تفعيل وتوصيل الإيمان من حفظ للقرآن والأحاديث ، وكانت له طريقة خاصة في قراءة الآيات تعطيها حياة وقوة وتبرز إعجازها ونظمها الموسيقي ، كما كان يروق له في بعض الحالات أن "يوشي" حديثه بأبيات مميزة من الشعر يكون بمثابة "الدانتيل" في حديثه مثل :

لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

أو :

من الرجال المصاييح الذين هم كأنهم من نجوم حية صنعوا

أخلاقهم نورهم ، من أي ناحية أقبلت تنظر في أخلاقهم سطعوا

أو :

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين وبالفسطاط جبراني

أو :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم
ولم يحدث أبدًا أن خطب من ورقة أو رجع إلى كتاب ..
المادة كلها في قلبه .. تجري على لسانه دون تلثم أو تردد .
كانت النتيجة أن المستمع لا يتمالك إلا أن يقول : هذا حق .
فعلًا .. هو حق .

ولكنه ليس الحق الوحيد .

وهذا هو ما أغفله الإخوان المسلمون .

كان لابد أن يعلموا أن للحقيقة أبعادًا عديدة ، وليس بعدًا واحدًا ، وأن المجتمع البشوي هو من التعقيد والثراء والخصوبة بحيث تتعدد أبعاد الحقيقة ، ويختلف كل بُعد عن الآخر لأنه يجلي جانبًا يتطلبه المجتمع ويكون مختلفًا ومتميزًا ، ولكنه لا يصاد الأبعاد الأخرى ، بمعنى أن لكل بُعد طبيعته الخاصة ، وهدفه الخاص ، ووسيلته الخاصة التي يهدف بها لإشباع إحدى حاجات المجتمع ، ولا يكون كل منها مصادًا ، ولكن مكملًا ، ومن هذه الأبعاد ما لا يكون له أي علاقة بالدين ، ومنها ما يكون له علاقة "حرجة" .

والفكرة المسيطرة على الإسلاميين جميعًا - بما فيهم الإخوان المسلمون - أن الإسلام فيه كل شيء ، وأنه يغني عن أي شيء آخر ، ولعل هذه الفكرة تطرقت إليهم من فكرة "التوحيد" ، ولكن فاتهم أن التوحيد مقصور على الله ، وعندما نثبت وحدة الله بطريقة النفي فنقول "لا إله إلا الله" ، فإننا قصرنا الوحدة عليه ونفيناها عما عداه ، وبالتالي فلا بد أن يكون المجتمع الإسلامي مجتمعًا متعددًا ، وهو ما يتناقى مع أن لا

يوجد إلا البعد الإسلامي ، وقد يكون أهم هذه الأبعاد ولكنه موصول بالله ، ولكن يظل مع هذا بُعدًا واحدًا من أبعاد عديدة .

ويقول الإسلاميون المنفتحون إن القرآن أشار إلى هذه الأبعاد بالفعل ، أو حتى تقبلها ، أو أمر بها ، ولكن هذا لا يكفي لأن هذه الأبعاد لم ترزق وجودها من سماح الإسلام لها أو إقراره لها ، فهذا أو ذلك لا يكفي ، فهذه الأبعاد تكتسب أهميتها من أنها تشبع جوانب في المجتمع لا ترتبط ضرورة بالدين ، وأنه سواء كان هناك ارتباط أو غيره ، فمن حقها أن يكون لها وجودها الخاص المتميز عن الدين .

خذ مثلاً العلوم البحتة كالحساب والرياضة والهندسة .. الخ التي هي قاعدة جانب ضخم من جوانب تقدم المجتمع ، أنها لا تمت للدين بصلة ، إن $(1+1=2)$ هو أمر لا يمكن للدين أن يخالفه أو يتدخل فيه ، قو أهميته على حياة المجتمع لا حد لها ، لأن عليها تقوم كل الرياضيات العليا .

كنت أقرأ وصية "نوبل" وإشارته إلى توزيع جوائزها في الفيزياء .. والكيمياء .. والطب .. والفن .. والسلام .. وكان معنى هذا أن المجتمع الحديث يتقدم بقدر تقدمه في الفيزياء والكيمياء والطب ، وهذه كلها مجالات علمية بحتة تعتمد على العقل ، وعلى التجربة ، ولا علاقة لها بالأديان .

فإذا كان تقدم المجتمع الحديث يعتمد في جانب كبير منه على الفيزياء والكيمياء ، أو الطبيعة والفلك والطب والرياضة ، فإن هناك جانباً آخر هو الفنون والآداب التي تشبع حاجة في نفس الفرد وطبيعة المجتمع لا تقل عن حاجته إلى العلوم ، والمفروض أن الفنون والآداب تمثل الطبيعة البشرية كما جبلها

الله ، والنفس الإنسانية وما ألهمها الله من فجور وتقوى ، ولا جدال أن فيها ما يشيع القيم النبيلة مثل الحب .. والجمال .. والخير .. والمساواة ، كما أنها من ناحية أخرى تشيع نوعاً من المتعة لسماع الصوت الجميل الشجي ، واللحن المتقن الذكي ، ورؤية مشاهد الجمال في المجتمع وفي الطبيعة ، ومن أكثر صور الفنون نفاذاً أو تأثيراً في المجتمع "المسرح" ويمكن لها أن تكون مدرسة تعمل للإصلاح بصورة غير مباشرة ، فالمسرح رواية يمكن أن تؤثر كرواية تقرأ ، ولكنها تمثل ففيها حياة ويمكن خلال موضوعها وبالحوار أن تعالج قضايا مثل المرأة ، ومثل المساواة ، إن رواية "المرأة لعبة الرجل" لإيسن ، كانت دعوة لتحرير المرأة أكثر نفاذاً من أي دعوة تدعو مباشرة وبوسيلة الخطاب المباشر ، كما كانت "كوخ العم توم" تهيئة للمجتمع الأمريكي لتحرير العبيد .

إن القول أن هناك فناً هابطاً لا يعود بالدرجة الأولى إلى الفنون نفسها ، ولكن لأن في المجتمع فئات تشعب هذه الفنون الهابطة تفسيتها المريضة ، وقد يعود هذا إلى تربية فاسدة ، أو إلى خلل في المجتمع ، فإذا كان هناك عيب أو نقص فهو هذا الوجود الذي يجب أن يعالج بالرجوع إلى أسبابه الحقيقية ، ولكنه إذا ظل فسيتطلب فناً يتلائم معه طبقاً لمبدأ "الكل ساقطة لاقطة" ، ولا يكون النقد حينئذ موجهاً إلى الفن ، لأن هذا الفن رد فعل ، ولكل "فعل رد فعل" ، ولا مناص من ذلك ، ولأنه إشباع لحاجة موجودة بالفعل .

لا يريد الإسلاميون أن يفهموا إن مجتمع المسلمين مجتمع بشري تسري عليه ما يسري على البشر ، وأن كونهم مسلمين لا يعني مخالفة للطبيعة البشرية ، فهذا أمر لا يمكن ولا هو

مطلوب ، ولكن الإصلاح يكون بتعزيز مناعة ومقاومة الإنسان المسلم في مواجهتها .

لقد اعترف القرآن الكريم - اعترافاً ضمنياً - بهذا الجانب واعتبره "من حرث الدنيا" أو "من العاجلة" ، ولم يفرض وصاية معينة ، ولكن ترك الأمر فيها لله يوم القيامة ، وإن صرح بأن النار مثوى لأصحابه ، وكان يمكن التأويل بأن جعل الحساب نتيجة لوزن السيئات مقابل وزن الحسنات ، ولأن الله تعالى يمكن أن يصل بالحسنة إلى سبعمائة ضعف ، كما أنه يتجاوز عن كثير من الذنوب ، وأن رحمته تسع كل شيء ، ولكن الأمر لا يقف عند القرآن ، إن لفيماً ممن يريدون إرهاب الحاسة الإيمانية وضعوا أحاديث توقع عقوبات شنيعة على كل من يقرب الفنون كان يصب في آذانه الآنك "وهو الرصاص المصهور" إذا سمع الموسيقى ، ولأن يكلف المصورون بإحياء ما رسموه .. إلخ . ومع أن هذه أحاديث موضوعة ، إلا أنها اكتسحت الفكر الإسلامي وأثرت تأثيراً طاغياً على المجتمع بحيث أصبح ضد الفنون ، وأصبح التطبيق الشرعي الكلاسيكي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدمير المعازف وتحطيم أواني الخمر .

لا بد أن يفهم الإسلاميون إن وجود الفنون والآداب كلها الرفيع والهابط هي إحدى صور التعددية التي لا بد منها في المجتمع والتي يتقبلها الإسلام على أساس أن توحيد الله يستتبع التعددية فيما عداه ، وعليهم أن يسلموا بأن الفنون والآداب لا يمكن الحكم عليها بمعايير إسلامية ، لأن الطبيعة والوسيلة والهدف مختلفة فيها عن الطبيعة والوسيلة والهدف في الإسلام .

والأمر لا يقف عند العلوم البحتة ، أو الفنون والآداب ، إن الفلسفة تكشف بُعداً من أبعاد الحقيقة يقارب بُعد الدين ولكنه

يستخدم العقل ويقف عند وجود الله ، ووجودها يعزز موقف الدين .. لا يخالفه .

وهناك كل أفانين النهضة بالصناعة .. والزراعة .. والتجارة ، كما أن هناك الرياضة البدنية والألعاب الرياضية ، وهذه كلها لابد أن يكون لها كيانات مستقلة تعمل لتحقيق أهدافها بوسائلها .

* * *

من هذا يتضح أن ما قدمه الإمام حسن البنا ، وهو أسمى ما يمكن أن يصل إليه الإسلاميون ، ليس إلا بُعدًا واحدًا من أبعاد عديدة ، وأن الإيمان إنه كل شيء أمر يخالف طبائع الأشياء ، وأن مجتمعًا لا توجد فيه العلوم والفنون جنبًا إلى جنب الدين ، لهُوَ مجتمع يعجز تمامًا عن أن يفي بمقتضيات وضرورات المجتمع الحديث .. هو مجتمع فقير .. جاف .. محروم من الجمال .. محروم من الحرية التي تتأتى من تعدد الأبعاد .

* * *

الفصل الخامس

الإسلام يضع أصول الحكم

في الفصل السابق أشرنا إلى بُعد من أبعاد الحقيقة لم يشر إليه الأستاذ البنا في عرضه لشموله مضمون الإسلام ، وأن هذا الشمول إذا وجد فهو في إطار الإسلام ولا يمكن أن يشمل بُعد الرياضيات والعلوم البحتة ، وبُعد الفنون ، وأن هذا الإغفال لا ينفي أن الإسلام بشموله الخاص به في دائرته أوسع ، وفيها أبعاد عديدة لا يمكن للإسلام القيام بها ، بل هو لا ينفي أن الإسلام قد يشير إلى ما بعد - ولكن هذه الإشارة لا تعد معالجة لهذا البُعد - كما هو الحال في قضية الحكم ، وهذا ما يتضح في قضية الحكم ، فالإسلام يضع الخطوط العريضة لما يجب أن يكون عليه الحكم الرشيد ، ولكن هذا لا يقتضي - ضرورة - أن يكون للمسلمون دولة إسلامية ، وقد كان الأستاذ البنا يوجه خطابه إلى إخوان مسلمين بالفعل ، وهذا ما جعل قضية إقامة الدولة لتطبيق المعايير التي وضعها الإسلام تبدو بديهية ، ولكن الحكم قضية عامة مجردة تمارس بالنسبة لكل بلاد العالم ، سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية ، وأهم من هذا أن تطبيق المبادئ التي يضعها الإسلام شيء والعمل لتطبيقها شيء آخر بالمرّة .

وقد يزيد في المفارقة أنه يوجد في المجتمع المسلم حاليًا عناصر "علمانية" تؤمن أن الدين قضية شخصية بين الفرد وربه

تؤدي في المنزل ، وشبهته الدكتور نوال السعداوي في حديثها مع "المصري اليوم" (٢٠٠٩/٩/١٥) : "الدين حالة فردية يمارس في البيت مثله مثل الجنس .. هل يتدخل أحد في العلاقة الخاصة بين الرجل والمرأة" ؟

نقول بادئ ذي بدء إن الذين يرون أن الدين أمرًا فرديًا شخصيًا بين الإنسان والله وليس له وجود في المجتمع ، هؤلاء في الحقيقة لا يؤمنون بالدين ، وهم يصورون إحدى توجهات الحضارة الأوروبية في استبعاد الدين أصلاً ، وأن من الممكن إقامة مجتمع صالح دون دين ، وهو إن كان مطبقاً في بعض دول العالم الحديث ، فإنه فاسد من الناحية النظرية ، وغير واقعي بالنسبة للشرق .

أما من الناحية النظرية فإن الدين في حقيقته رؤية للوجود تؤمن بأن هذا الوجود ، وما يتسم به من دقة وإحكام وانتظام لا يمكن أن يكون نتيجة للعشوائية أو للتطور التلقائي ، وإنما هو من خلق قوة تمثل الغاية والقيم والعقل وتقف في مواجهة العدم والعشوائية ، وهذه القوة العظيمة هي الله ، وهي بقدر ما تمثل القدرة العظمى التي لا نستطيع تحديدها ، بقدر ما هي أصل القيم من خير .. وعدل .. وحرية .. ومساواة ، وأنها تمثل الحقيقة المطلقة التي تنتهي إليها "النسبيات" وبدونها لا تكون هناك نسبية ، وأن هذه النتيجة تستتبع دون ريب علاقة ما بينها وبين الإنسان هي الدين التي بدورها تعتمد على رسل من الأنبياء ينقلون لنا قبساً يحمله ملاك من الله إليهم تبين لهم بعض ما يعجز العقل البشري عن الوصول إليه .

وهذا التصوير للوجود هو الذي يمثل العقل والغائية في مواجهة العبث والعدم ، وإذا كانت الأديان قد أسيئ فهمها ، وإذا كانت مؤسساتها استغللتها فليس ذلك ذنب الأديان في حد ذاتها .

هذا من ناحية النظر والفكر ، أما من ناحية الواقع فبالنسبة لهذه المنطقة من العالم - الشرق - فإن الأديان كانت في أصل تكوين المجتمع ، وكانت هي التي تمثل الضمير .. والشريعة .. والحكم ، وفي مصر فإن الإسلام هو أقوى إيمان لشعب مصر (كما أن المسيحية - بالنسبة للأقباط - هي أقوى إيمان) ، ولا يمكن تصور المجتمع المصري بدون إسلام ، فأين تذهب العربية التي حفظها القرآن وسانها وجعلها اللغة القياسية لكل العالم الإسلامي ؟ وأين يكون التاريخ ؟ وأين تكون التقاليد والعادات والأعياد .. إلخ ، وأهم من هذا كله الضمير ، فالمسلمون جميعاً كونوا ضميرهم في ظل الحلال والحرام .

على الكتاب المحدثين أن لا يتجاهلوا أبرز الحقائق ، والأمانة تقتضي منهم الاعتراف بها سواء سرتهم أو سادتهم فهي الحقيقة ، وعليهم أن يقيموا حساباتهم على أساس الحقيقة ، وأن يعلموا أن أفكاراً مثل "القومية" ، "الوطنية" ، "المواطنة" ، "العلمانية" رغم بريقها ، وما فيها من صحة ، وأنها المطبقة في العالم الغربي ، فلا يمكن أن تقبل في الشرق إذا كانت تعني رفض الدين ، أو حتى تجاهله ، إن الوطنية .. والمواطنة .. انتماء ، أما الدين فهو ولاء .

ولو كان ممكناً استنصال الإسلام من المجتمع ، فكان يجب أن ينجح ذلك في تركيا التي رزقت طاغية تقلد كل السلطات وتمتع بحب شعبه لأنه أنقذه كقائد عسكري من مهانة الهزيمة والتبعية ، ولكن هذه الطاغية كان يريد بكل قوته إبعاد الإسلام

من المجتمع التركي وأن تأخذ تركيا بالحضارة الأوروبية كاملة غير منقوصة بما في ذلك تغيير حروف اللغة التركية من شكلها العربي إلى الشكل اللاتيني والتخلص من العمائم والقفاطين والأخذ بالقبعات والبدل أو إباحة البغاء والخمر وكل صور الاستمتاع ، ولكن الإسلام كان أقوى منه ، وأقوى من الجيش الرهيب الذي نصبه وصيًا على الشعب لتحقيق العلمانية ، وظهر حزب له توجهاته الإسلامية وكسب السلطة بفضل هذه التوجهات ، فلا فائدة في مقاومة الجذور والأصول والتاريخ والجغرافيا .

* * *

هذه مقدمة لا بد من أن نستوعبها عندما نتحدث عن الإسلام والحكم ، إن طبيعة الإسلام كانت تتطلب أن يضع أصول الحكم الرشيد ؛ لأنه يدخل في إطار دعوته الشاملة ، ولأن الظروف التي ظهر فيها كانت تتطلب ذلك ، وهكذا وضع الإسلام الخطوط العريضة للحكم من منطلق طبيعته الشاملة التي جعلت جذر هذه الأصول هو العدل لأنه فضيلة الفضائل .

ومن فكرة العدل قامت الخطوط العريضة للحكم ، فلا بد أن يكون حكمًا عادلاً ، وهذا يستبعد تمامًا كل صور الحكم المطلق ، أو المستبد ، أو الحكم بالرأي ، أو بالوراثة ، أو اتخاذ الحكم مغنمًا وإقامته على أساس المصالح ، كما تطلب الإسلام أن يقوم الحكم على أساس البيعة وهي أشبه بعقد بين الحاكم والشعب ، وأن يمارس الشورى وهي إحدى صور "الديمقراطية" ، وقد بلورت الخطوط العريضة التي وضعها الإسلام للحكم خطبتنا أبي بكر وعمر اللذين حكما لأول وآخر مرة حكمًا إسلاميًا .

واعتبر القرآن أن الذين لا يحكمون بما أنزل الله ما بين الفاسقين ، والظالمين ، والكافرين ، مما يوضح أن الأمر جد ، وإن كان المأل هو تأويل "ما أنزلَ اللهُ" فهو قابل لاحتمالات عديدة .

ومن الواضح أن هذه خطوط عريضة ، يمكن أن تتفاوت الأحكام فيها ، وهذا مطلوب ، بل لا بد منه لأنه لا يمكن في مجال الحكم وضع تشريعات جامعة مانعة فهذا ما ترفضه دينامية الحياة والتطور ، وبالطبع فليس هناك تفاصيل لأن التفاصيل لا بد وأن تكون متفاوتة ، ويمكن القول بدون مجاملة للإسلام أن الخطوط التي وضعها الإسلام للحكم هي أفضل ما وضعته الديمقراطية الحديثة .

من هنا يمكن القول أن هناك خطوطاً وضعها القرآن تكفل الحكم السديد ، وأن أي حكم يخالفها يُعد مخالفاً لما جاء به الإسلام ، وأن هذه الخطوط تمثل أفضل ما في الديمقراطية .

وقد يلحظ قارئ أن هذه الصورة للحكم لم تتضمن الحرية ، ونحن نعلم أن مناخ الحرية هو المناخ اللازم لكل حكم ، وعدم الإشارة إلى الحرية عندما تحدث الإسلام عن الحكم جاء لأن المقصود هنا ممارسة الحكم فهو عمل ، وفي مجال الأعمال تكون الفضيلة هي العدل وليس الحرية ، أما الحرية فإن مجالها هو الفكر ، والإسلام يرمز لها بحرية الإرادة ، وقد كفلها الإسلام حتى في أخص مجالاته وهي حرية الاعتقاد ، ففتح الباب على مصراعيه أمام حرية الإرادة "فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ" ، "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" ، "أَقَانَتْ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" .. إلخ ، فالحرية مجالها الفكر ، فالإسلام جعل حرية العقيدة وهي أمس ما يتعلق به مفتوحة على مصراعيها ، وجعل

الفصل في النهاية للإرادة الإنسانية ، بل إنه وضح أن الهدى والضلال أمر شخصي لا يخص النظام العام "فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا" ، وهذا لأن ضلال فرد ما لن يضير الله تعالى ، وأن هداية فرد لن تغني الله شيئاً ، وإنما أنزل الله الأديان لمصلحة الناس وليس لمصلحة الله ، كما أن الإسلام وضع خطوطاً عريضة للاقتصاد .. وللاجتماع ، وفي كل هذه الحالات كانت هذه الخطوط العريضة تطبيقاً للعدل عند العمل والحرية في الفكر والمساواة ما بين جميع الناس في الحقوق والواجبات .

ويجب أن نفهم أن ما وضعه القرآن من أصول عن الحكم وعن الاقتصاد وعن الاجتماع شيء ، وما يقوله وما يحكم به الفقهاء شيء آخر بالمرّة ، وليس من المبالغة أن نقول إنه يتناقض مع "موضوعية" الأصول القرآنية لأنهم فسروها في ضوء فهمهم وفي ظل عصرهم وفي حدود ثقافتهم الضيقة ، ومن ثم فلا يجوز الاحتجاج بهذه التفسيرات ولا بهذه الأحكام ، خاصة وأن الأصل - القرآن - لدينا وهو هو لم يتغير ، ونحن أقدر من الأسلاف على فهمه واستيعابه واستخلاص الأحكام منه ، ونحن لا نعتبر أن السياسة الشرعية لابن تيمية مصدر إسلامي للحكم ، وكذلك الأحكام السلطانية للموردي .. وغيرهما ، فنحن لا نعرف الحق طريق الرجال ، وإنما يحكم الحق على الرجال ، والحق هو القرآن .

ولا يقولن أحد لماذا وضع الإسلام هذه الخطوط؟ لأن من المفروض بداهة أن الإسلام دعوة هداية ، وأن هدايته لا تقف عند العقيدة والعبادة ، ولكن تضم الحياة ، والله تعالى الذي هو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد .. يعلم ضعف الإنسان أمام

الإغراءات العديدة ، ومن المقبول عقلاً أن لا يتركه ضحية لها دون أن يقدم له ما يعينه ، فهذا جزء من هداية الإسلام ، ومادام الإسلام يترك الحرية للأفراد فلا يمكن أن يقال إن ما وضعه يمثل تحكماً فيه أو وصاية عليه أو تدخلاً فيما ليس من حقه ، وأي تحفظ على أن يتضمن الإسلام هذه الأصول إنما ينبثق أصلاً من عدم الإيمان بالله ، وعدم الإيمان بالأديان كقوى مؤثرة في المجتمع ، وهو فرض استبعدناه ؛ لأنه لا يمس الإسلام وحده ، ولكن يمس الأديان جميعاً ، ولأنه إذا صلح في بعض دول العالم فإنه لا يصلح في الشرق .

* * *

الفصل السّاسين

الإسلام لا يتورط في الحكم

في الفصل السابق أثبتنا دور الإسلام في المجتمع ، وأنه يدخل في هذا الدين وضع الخطوط العريضة للحكم .. وللاقتصاد .. وللإجتماع ، وأن هذه الخطوط عريضة .. منفتحة .. قائمة على أصل العدل الذي هو بصمة الإسلام .

في هذا الفصل ننتقل إلى القسم الثاني منه ، وهو أن الإسلام الذي يضع هذه الخطوط العريضة للحكم لا يتورط فيه ولا يذكر نظامًا لتحقيق هذه الخطوط إن هذا يبدو للبعض مناقضًا للأول ، فإذا كان الإسلام لا يتولى بنفسه الحكم ، فلماذا وضع هذه المبادئ ؟ وقد يمكن الرد عليهم أنه إذا كان هو سيحكم بنفسه فلم يكن هناك داع لوضع خطوط عريضة ، لأنه من المفهوم بدهة أنه سيحكم بما يقضي به الإسلام ، فلو عمل المتساءلون عقولهم لوجدوا أن وضع خطوط عريضة يعني ضمناً عدم الممارسة الفعلية للحكم .

ولكننا قد نطالب الناس بشيء ليس في مقدرتهم ، فلا يزالون يتساءلون لماذا لا يجوز للإسلام أن يمارس الحكم ؟ وكيف إذن سيتأتى تطبيق الخطوط العريضة التي وضعها .

الرد : إن الإسلام أصلاً هداية بمعنى أنه عقيدة تقدم للناس لهديتهم ، فمن آمن بها فإن الإسلام يكون قد أدى دوره ، أما من

لم يؤمن بها فلا يستطيع الإسلام أن يفعل له شيئاً ، لأن الهداية لا تفرص ، فهو يترك أمره لله تعالى يتولاه يوم القيامة .

وإذا كان الإسلام بطبيعته ووسائله هداية ، فإن هذا يتناقض مع طبيعة ووسائل الحكم ؛ لأن الحكم يقوم على سلطة ، والسلطة تعتمد على الإكراه أو الإغراء ، فيمكن أن تحاكم من يعارضها وتحكم عليه بالسجن أو الإعدام أو يمكن أن ترشيه بالمال أو المناصب فيميل إليها ويصبح من أعوانها ، ومن الواضح أن هذا يخالف نمط وروح هداية الدين بالحكمة والموعظة الحسنة حتى يؤمن ، ولا يمكن أن يؤمن إلا بالقبول الطوعي والافتناع القلبي دون أي ضغوط ، بل وبصورة تجعله يفضل التضحية في سبيل هذا الإيمان بكل شيء بما في ذلك نفسه ، إن وازع القرآن يختلف تماماً عن وازع السلطان الذي يجعل الفرد لا يستسلم له إلا خوف القوة أو الرغبة في مال وجاه ومنصب ، وهذا أبعد ما يكون عن الإيمان القلبي العميق ، هذا الاختلاف في الطباع هو ما يجعل الدين غير مؤهل لممارسة الحكم لأن طبيعة الحكم وأدواته تختلف أو حتى تتناقض مع طبيعة الإسلام وأدواته .

وفي كتابنا "الإسلام دين وأمة .. وليس ديناً ودولة" (٤٠٠ صفحة) ، شرحنا بإسهاب هذه الفكرة ، واستبعدنا تماماً فكرة الدولة الإسلامية التي تتولاها مؤسسة إسلامية أو شيوخ أو دعاة يريدون تطبيق الشريعة ، وجاء هذا الاستبعاد مبنياً على أساسين :

الأول : اختلاف هذا عن الدور الطبيعي للإسلام كدعوة هداية تفق عند تبليغ الدعوة ، وأن ممارسة الإسلام الحكم لتطبيق ذلك هي رغبة نبيلة ولكنها لا تتم بإقامة حكومة إسلامية .

والأساس الثاني : التناقض ما بين طبيعة الدين وطبيعة السلطة ، فطبيعة الدين القيم والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، أما طبيعة السلطة فهي القهر والإرشاء ، والسلطة هي مجمع الإغراءات .. تصب فيها كل الإغراءات .. إغراءات المال .. إغراءات النساء .. إغراءات الزهو .. إغراء السيطرة على الناس وقهرهم ، وهذه كلها من وجهة نظر الإسلام ظلمات بعضها فوق بعض ، فكيف يمكن لهذه الظلمات أن تحقق الهداية أو تطبق الشريعة؟؟؟

إن حكم التاريخ قد أثبت إن أي محاولة للجمع ما بين الدين والسلطة قد أسفرت عن استغلال السلطة للدين ، وأن الدين فقد كل جوهره حتى وإن احتفظ بشكليته .

فعندما قامت الخلافة الإسلامية تحولت بعد حوالي ٣٠ عام من قيامها إلى ملك عضوض استمر ألف وأربعمائة عام عندما أنهى مصطفى كمال أتاتورك هذه الخلافة المزعومة .

وعندما كونت المسيحية دولة تحولت المسيحية في هذه الدولة من إشاعة للمحبة والسماح إلى محكمة تفتيش تحكم بأقصى صور التعذيب قسوة ووحشية .

بل عندما أراد العمال تكوين دولة تنقذهم من استغلال الرأسمالية ، وقعوا في قبضة السلطة التي جعلتهم أشبه بعمال السخرة القديمة وانحطت النقابات إلى أجهزة للحكم .

كل هذا لأن طبيعة الدولة - كأداة قهر وأداة حكم وإغراء - .. إلخ ، تتناقض مع طبيعة الدين كرسالة هداية وقيم .

قد يقولون : ولكن الإسلام كوّن دولة في عهد الرسول ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين ، فهل ننكر ذلك ؟

نقول : إن الدولة التي أقامها الرسول ﷺ (وسنرى أنها تفقد أبرز مقومات الدولة) لم تتم بنص من القرآن أو كجزء من رسالته ، ولكن بحكم السياق التاريخي للأحداث ، فقد حاك المشركون مؤامرة مُحكمة لقتل الرسول ﷺ ، وعلم بها الرسول ، فكان لا بد أن ينجو منها ، ولا يمكن أن ينجو منها إلا بترك مكة ، فرسم خطة أن ينجو من مكة ومؤامراتها ليذهب إلى المدينة ، هذه المدينة التي كانت قد فتحت بالقرآن ؛ لأن الرسول ﷺ أرسل إليها مصعب بن عمير ، فقام مصعب بن عمير بالدعوة للإسلام وإشاعة القرآن ، فأسلم معظم أهلها ، فأصبحت مدينة مسلمة ، فكان من الطبيعي أن يذهب إليها الرسول ﷺ ، وكان من الطبيعي أن يستقبل أهلها المؤمنون رسولهم العظيم ، وما أن يهل عليهم حتى ينشدوا : طلع البدر علينا من ثنيات الوداع .. أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع .. إلخ ، أي أنه وجد جمهوراً مؤمناً يسلم إليه مقاليد الحكم ، فأقام مجتمعاً وأنشأ أمة ؛ لأن هذا المجتمع كان يفقد أكبر خصائص الدولة ، فالدولة في المصطلح الفني لها ، لا بد أن يكون لها جيش دائم .. وبوليس .. وسجون ، ولا بد أن تفرض ضرائب ، ولم يكن في المدينة شيء من هذا ، فلم يكن فيها جيش دائم ، وظل ذلك حتى عهد عثمان عندما لم يكن في المدينة جيش يطرد بضعة مئات من شذاذ الأفاق سيطروا على المدينة ، ولم يكن بها بوليس ، ولم يكن بها سجن ، ولم تفرض ضرائباً ، بل سنت الزكاة التي تؤخذ من الغني لتعطي للفقير ، فلم يكن هذا في حقيقة الحال "دولة" حتى وإن كتب الرسول ﷺ إلى الملوك أو قاد الغزوات ، ولم يكن قيامه تطبيقاً لنص قرآني ، ولكن بحكم سياق الأحداث ولضرورة الدفاع ، وأهم من هذا كله أن حاكم هذه المدينة كان رسولاً يوحى إليه ويصحح الوحي بعض تصرفاته ، فهل يمكن أن يتكرر هذا في التاريخ .

قد يقولون : وأمر خلافة أبي بكر وعمر .

نقول : إن خلافة أبي بكر وعمر لم تأت أيضًا بنص من القرآن ، ولكن بسياق التاريخ فقد استطاع أبو بكر أن يكسب تأييد الأنصار - أهل المدينة - وكسب بالتالي تأييد المهاجرين وبقية المسلمين وحكم في ظل أثر الرسول ﷺ الذي كان لا يزال قويًا .. حيا .. في المدينة ، وقبل أن يموت استخلف عمر ، وحكم عمر بعبقرية فذة ، وعندما طُعن ، طُعنَت الخلافة .

إن عدم صمود الخلافة لأكثر من خمسة عشر عامًا هو أعظم دليل على أن هذه الخلافة إنما قامت بفضل سياق الأحداث ، وبفضل بقاء الأثر النبوي لخمس عشرة عامًا بعد حياة الرسول أخذ بعدها يخفت اثره شيئاً فشيئاً بحيث لم يجد معاوية قوة تمنعه من إقامة الملك العضوض ، والحكم بماتيفستو الإرهاب الذي أعلنه زياد بن أبيه .

أن للمسلمين أن يعلموا أن كل تجارب إقامة دولة لتطبيق الشريعة فشلت وأشاعت الفوضى وفرضت القيود وعطلت الحريات وأوقفت التنمية ، وأدت إلى نشوب الحرب الأهلية ، وتخلف البلاد ، وأن هذا حدث في السودان الذي أدت فكرة تطبيق الشريعة لانفصال الجنوب ، وحدث في نيجيريا ، وحدث في الأفغان أولاً عندما حكم المجاهدون ففشلوا ، وحدث عندما سادت طالبان وأرادت إقامة حكم إسلامي حقيقي يقوم على الإسلام (وفي الحقيقة فإنه قام على عدد من الأحاديث الضعيفة) .

وليس معنى هذا أن لا تطبق الشريعة ، ولكن معناه أن التطبيق السليم لها لا يجوز أن يأتي من الحكومة ، ولكن من الأمة المؤمنة بالشريعة (وليس الحكومة) ، والتي تضغط على الحكومة لتطبيقها .

والحكومة عندما ترى أن هذا مطلب الشعب فإن واجبها الديمقراطي الاستجابة ، وفي هذه الحالة توجد ضمانات نجاح التطبيق ، لأنه جاء من الشعب ، ولأن الشعب يشارك فيه ويتابعه ويحول دون استئثار الدولة ، فإذا كان الأمر كذلك فعلياً أولاً أن نعمق الإيمان بالشريعة ، وفهم الشريعة الفهم الحقيقي - أنها العدل - ومواصلة ذلك حتى تصبح إرادة شعبية تطبقها الدولة تحقيقاً لسيادة الأمة ، وبهذا نحقق الديمقراطية ونضع الضمانات لصالح تطبيق الشريعة ، أما أن نركز الجهود على الحكومة لتطبيق الشريعة ، فلن نحصل إلا على نسخة أخرى من السعودية أو طالبان ، ويمكن القول إن ما يتحقق نتيجة ذلك هو أبعد ما يكون عن الشريعة ، وأن الشريعة قد تكون مطبقة في بلد يحمل علم الصليب (سويسرا) أكثر من بلد يحمل لواءه "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، لأن الشريعة هي العدل ، والعدل مطبق في سويسرا وغير مطبق في السعودية .

* * *

الفصل السَّابِع

ليس كل ما يصلح في الماضي يصلح في الحاضر

تجري على السنة عامة المسلمين مقولات تحل عندهم محل المبادئ أو الأصول المقررة وهم يكررونها دون أن يعملوا فيها فكرياً مثل "خير القرون قرني .. والذي يليه .. والذي يليه" ، ومثل "لا يصلح آخر الأمة إلا بما صلح عليه أولها" ، ومثل "لو كان الدين بالرأي لكان مسح على أسفل النعل أولى من أعلاه" ، في حين أن الواقع يكذب هذه الأقاويل كلها ، فإن أعظم المنكرات والكبائر حدثت في قرن الرسول مثل قتل عثمان وهو يقرأ في المصحف ، وحرب صفين ، وقتل علي بن أبي طالب وهو يدعو للصلاة ، ثم تحويل الخلافة إلى ملك عضوض ، ومأساة كربلاء ، وقتل نسل الرسول بحيث لم يفلت إلا واحد ، ثم فتح المدينة كما لو كانت بلدًا وثنيًا ، وقتل الصحابة وإباحتها ثلاثة أيام ، ومثل ضرب الكعبة بالمنجنيق .. إلخ ، وكل هذه الفجائع حديث في القرن الأول ، ومقولة "لو كان الدين بالرأي " هي نفسها أقوى دليل على أن الدين بالرأي لأنه لا يعقل أن نمسح أسفل النعل لتتنسخ اليدين ، فكان لا بد من مسح أعلاه ، والعملية كلها رمزية .. وأخيرًا فليس شرطاً أن ما تصلح عليه الأمور في الماضي تصلح عليه في الحاضر أو المستقبل .

الحقيقة أن مشكلة الأديان كانت مع الزمن ، فقد ظهرت الأديان منذ آلاف السنين : اليهودية منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام ، المسيحية ألفين عام ، وأكثرها شبابًا الإسلام منذ ١٤٠٠ عام .

والزمن ليس ظاهرة جوفاء ، ولا هو معيار جامد ، ولا هو مجرد وعاء تتلاقى فيه الأحداث ، إنه يمثل تفاعل الحياة ، وهو في المجتمع يسمى تطورًا ، وفي الفرد يسمى نموًا ، فالزمن هو محض النمو والتطورات والأحداث .

ولكن الأديان التي أنزلت منذ آلاف السنين تطالب أن يؤمن بها أهل هذا العصر ، كما آمن بها أهل العصر القديم الماضي .

فهل يستقيم هذا !؟

إن هذا يستقيم لو اقتصرنا الأديان على التعريف بالله تعالى وعلى ما يصطبح به من قيم الخير والحب والمساواة والعدل والحرية والمعرفة .

هذه ثوابت ، وهي مثل النجوم التي يستهدى بها أهل الأرض .

بل نقول إن إيمان السابقين يمكن أن يكون أفضل من إيمان اللاحقين ، لأن هؤلاء السابقين عاصروا الرسالة ، أي الرسل الذين حملوا هذه العقيدة ، وكانوا أفضل الناس ، قبل أن تتحول العقيدة إلى دوجما ، والإيمان إلى كنيسة وأتباع الرسل إلى سدنة ، وقبل أن تصاب الأديان بما يعرض للدعوات من عوامل احتكار أو مصالح مكتسبة أو سلطة .. إلخ .

ولكن عندما تصطبب الأديان بقواعد ومبادئ تنظم أوضاع المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فهنا تقع الأديان في مأزق .

لأن أي معالجة لجانب "الدينيويات" لابد أن يخضع لما تخضع له كل الظواهر الاجتماعية ، ولأن الأحكام في هذه المجالات يجب أن تكون مرنة ، ويجب أن تعالish التطور وتصلح ما يطرأ على المجتمع من مستجدات ، فإذا لم تفعل هذا جمدت ، وبدلاً من أن تكون قوى تقدم ، تصبح عقبات في طريق الإصلاح .

ويمكن للإسلام أن يخلص من هذه المشكلة لأنه إنما وضع أصولاً عامة في السياسة والاقتصاد والاجتماع ، وهي أصول لا تكاد تكون محل نزاع لأنها تمثل أفضل ما توصلت إليه البشرية بالفعل ، ومن ثم فلن تكون محل صراع أو نزاع ، ولكن هذا ليس حل الأحكام في حالات فروعية أو جزئية مثل أحكام الزواج والطلاق ، وتحريم الربا ، والعقوبات المقدره التي يقال عليها الحدود ، فقد وضع الإسلام أحكاماً قرآنية فيها محددة ، ويبدو أن ليس ثمة خيار إلا تطبيقها ، ولكن الأمر ليس كذلك لأن القرآن وجهنا في كل شيء لأن نفكر ، ولأن نتدبر ، ولأن نلتمس الحكمة ، وعندما نُعْمِل هذا يظهر لنا أن القرآن لم يقرر حكماً إلا لعله هي العدل أو المصلحة ، لأن هذين هما ملاك الأحكام الدنيوية ، وكان النص القرآني يحقق بالفعل هذا الهدف عندما أنزل ، ولكن يحدث أن يجاوز التطور النص بحيث لا يحقق النص الحكمة التي أنزل لها ، أو حتى قد تتحسم العلة التي من أجلها صدر الحكم ، فينحسم الحكم لأن الحكم يسير مع العلة وجوداً وعدمًا ، وقد ظهر ذلك في وقت حديث بالنسبة لزمان النزول فخلال خمسة

عشر عامًا حدث من التطور ما جعل عمر بن الخطاب يجمد "نصًا قرآنيًا" من مصارف الزكاة ، وهو مصرف المؤلفة قلوبهم رغم تحديده في الآية ، وكان الرسول يطبقه فيعطي بعض رؤساء القبائل نصيبًا من الزكاة ليكسب تأييدهم ، ثم طبق أبو بكر ذلك ، ولكن عمر بن الخطاب وجد أن الإسلام ليس في حاجة لتأييدهم فلم يصرف لهم شيئًا ، وبالمثل فإنه أوقف تطبيق حد السرقة في عام الرمادة فأعطانا مؤشرًا هامًا أنه ليس المهم "حروف النص .. ولكن مقصد النص" ، فيبقى النص ما بقي محققًا للمقصد الذي نزل من أجله - وهو العدل والمصلحة - فإذا جاوزه التطور فلا بد من تعديله ، أي تغييره بما يحقق العدل الذي هو مقصد وروح النص .

لو بدأ الفقهاء حيث انتهى عمر بن الخطاب لوفروا ألف سنة من المماحكات التي جعلتهم يتمسكون بحرفية النص ، وفي كثير من الحالات يصدرون أحكامًا تكميلية تتناقض مع مقاصد النص وروح الإسلام تطبيقًا لروح عصرهم ، وكان عصرًا مستبدًا .. متخلفًا .

كان عمر بن الخطاب يقول "كل الناس أفتقه من عمر" ، أما فقهاؤنا فيقول "أين نحن من عمر" ؟ ، وشتان بين قول يمثل التواضع ، وقول يمثل العجز وكلال المهمة .

* * *

على أن قضية "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليها أولها" ، جوانب أخرى ، فهذا القول قول "استاتيكي" مجرد منقطع عن الحياة التي تمثل النمو والتطور والتقدم ، والتقدم يكون بالنظر إلى الأمام لا بالنظر إلى الوراء .. إلى الماضي ،

ومن ثم فإن قضية الإصلاح تصاب في مقتل عندما ننظر إلى الوراء .. إلى الماضي ، وليس إلى الحاضر والمستقبل ، وإنما تقبل المجتمع هذه المقولة لأنه لا يؤمن بالإنسان وما يملكه الإنسان من طاقات مبدعة ، وما يمكن لعقله أن يحققه ، إن الفكر الإسلامي القديم لا يعرف هذا ، لأن كل رأسماله هو القديم .. هو الماضي ، وكما قلنا ، وكما نكرر فإن الماضي لا يمكن أن يقوم عليه مستقبل ، وإنما يكون ارتدادًا من الحاضر إلى الماضي .

لقد دخل العالم في القرن الثامن عشر مرحلة جديدة باكتشاف البخار كقوة محركه واستخدام الآلات محل وسائل الإنتاج اليدوية ، إن الثورة الصناعية نقلت البشرية نقلة لم تحدث من قبل وكانت إيدانًا بعهد جديد ، وعصر جديد ، وثورات متلاحقة في قوى الإنتاج واكتشاف موارد للقوة غير البخار مثل الكهرباء ومثل البترول ومثل الذرة ، وبعد أن كان الإنسان إنسان الأرض أصبح الإنسان إنسان السماء أيضًا ، وأصبحت السماء هي مراكز العمليات ، وهي التي تنطلق منها الأسلحة وتسري فيها القنوات الفضائية ، لقد أراد سيدنا سليمان من الله تعالى أن ينعم عليه بمعجزة لا تتأني لأحد في عهده ، فأعطاه بساط الريح ، وما بساط الريح بالنسبة لما عند شركة بوينج من طائرات من كل نوع حربية .. وتجارية ، ونقل وزيره الذي كان يعرف بالاسم الأعظم عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل أن يرتد إليه بصره ، وهذا ما تقوم به يوميًا ملايين الأجهزة مثل الفاكس والكمبيوتر والبريد الإلكتروني ، واستطاع أن يتعرف على الحركة داخل الذرات خلال جزء من مليون بليون جزء من الثانية ، مرة أخرى جزء من مليون بليون جزء "فتأمل قدرة العلم وهي تلاحق قدرة الله" .

لا بد أن يقدر الإخوان المسلمون العصر .. حق قدره .

والحقيقة أننا لسنا أحرار ، فإذا تجاهلنا ضرورات العصر ورفضنا أن نلحق بقطاره ، فسيتركنا وهذا يعني التبعية المهينة للعالم المتقدم والخضوع لحكم قوته القاهرة التي لا تغني أمامها الشجاعة ، لأنها تأتي من السماء ، وتلجأ إلى التدمير والقتل العشوائي .

وإذا أردنا أن نلحق بعالم العصر فيجب أن نخصص ربع ميزانيتنا للبحوث وعلوم الكيمياء والطبيعة والرياضة (نحن حالياً نخصص أقل من ١ %) .

وعلىنا أن ننادي العلماء المصريين من أربعة أركان الأرض أن يعودوا لأن مصر تحتاجهم ونفسح لهم المجال وتستجيب لكل مطالبهم .

بهذا نتغلب على تخلفنا ويمكن أن نظفر بمقعد في "سبنسة" قطار العصر .

* * *

الفصل الثامن

قضايا طارئة ٠٠ وفرص مُهدرة

الانطباع الذي يأخذه بعض المراقبين للإخوان هو أنها "تجمدت" فهي لا تفعل شيئاً ، بل ولا ترد على اعتقالات الحكومة المتوالية ، ومحاكمة قياداتها أمام محاكم أمن دولة ، "وشنعت" عليها إحدى الصحف أنها إثر كل اعتقال تدير خدوها الأيسر ليتلقى اللطمة التالية ، ولكن هذا الانطباع - الذي قد يكون حقيقياً إلى حد ما - إنما حدث بفعل العوامل التي تحكمت في مسيرة الإخوان ، فهناك عوامل انعطفت بالإخوان عن مسارهم ، وانساقوا لها لأنه لم يكن هناك تصرف آخر ، وهناك فرص تجمدوا أمامها فأضاعوها ، والفرص مثل السحاب أو مثل القطار .. إذا لم تركبه انطلق دونك ، وهناك فرص أساءوها ، فبدلاً من أن ترفعهم فإنها أسقطتهم ، وأمضت الدعوة معظم عمرها الطويل ما بين قضايا طارئة .. وفرص مُهدرة .. فعندما بلغ التكوين الإخواني غايته (قراءة سنة ١٩٤٠م) وحين وقت العمل حدث أمر جعل الإخوان يرجئون كل نشاط ليعنوا بهذا الأمر المستجد وهو ظهور التسلل الإسرائيلي إلى فلسطين في حماية الإنتداب البريطاني وزيادة عدد المهاجرين بعشرات الألوف .

هذا حدث استغلق على الجميع ، لأنه كان أكبر منهم ، ولأنه فرض نفسه على الجميع ، بما في ذلك الصهيونيين الذين

كانوا السبب فيه ، وقد انساق الجميع وخضعوا لتعقيدهاته ، فدخلت مصر الحرب ، دون أن تكون مؤهلة لهذا ، ودون سبب حقيقي ، وانحازت الدول العربية واشتركت في المعركة وأرسلت جيوشها وجعلت من الملك عبد الله قائداً عاماً للقوات العربية ، وكان الذي يحكم الملك عبد الله هو قائده الإنجليزي ، ورأى الإخوان أن يرجئوا نشاطهم وانهمكوا في تدريب المتطوعين .

هل كانت الرؤية السياسية لهم جميعاً سليمة ؟ هذا أمر لا يمكن القطع به لأن الموقف كان أكبر منهم جميعاً ، وانبهت أمامهم المعالم فانساقوا جميعاً وراءه .. كل بطريقته الخاصة ، ويصعب علينا أن نحكم عليهم ، فقد كان الحدث أقوى وأكبر منهم جميعاً .

قد لا أنظر إلى قضية فلسطين نظرة الإخوان ، ولكن من منطلق الأمن القومي يكون على مصر أن تعني بالتسلسل الإسرائيلي وزيادة عدد المهاجرين وانتشار المستوطنات ، لأنه لا حدود بين مصر وفلسطين ، وقد جاءت معظم الغزوات ضد مصر من ناحيتها ، ولا يسعد أي رجل دولة مصري أن يكون على حدوده دولة مثل إسرائيل تريد التوسع وتستهدف إقامة دولة أقوى من الدول العربية .

من هنا فأنا أعتقد أن سياسة الإخوان تجاه فلسطين كانت أهدى سبيلاً من الموقف السلبي الذي وقفته الحزبية الهزيلة التي حكمت مصر ، ومن الباشا الذي قال أنا رئيس وزراء مصر .. وليس فلسطين ، وعندما قامت الدولة الإسرائيلية بصفة رسمية ، وأعلنت الدول العربية الحرب ودخلت الجيوش ، أرسل الإخوان المتطوعين الذين أثبتوا بسالة وكان الجيش يستعين بهم في المهام الصعبة .

وانتهى حكم السعديين الأشقياء سنة (٤٩ - ١٩٥٠م) ، وفاز الوفد في انتخابات سنة ١٩٥١م ، وألغى الأحكام العرفية وسقط معها الأمر العسكري بحل الإخوان ، وأعلن الوفد سقوط معاهدة ١٩٣٦م ، بدأت حركة العمل الفدائي ضد المعسكرات البريطانية في الإسماعيلية وفايد ، وأرسل الإخوان الفدائيين الذين أظهروا بطولة تشهد بها أسماء عمر شاهين والمنيسي وغيرهم من الذين استشهدوا وأطلقوا أسماءهم على الشوارع .

ولم تكد تهدأ شيئاً ما قضية فلسطين وقضية القنال حتى قام عبد الناصر باتقلابه العسكري ، فهذه سلسلة من العوامل التي شغلت الإخوان عن المضي في مسيرتهم الخاصة لأكثر من عشر سنوات .

ولم يكن عبد الناصر غريباً على الإخوان فقد بايع مع الخلية الأولى من الضباط الأحرار (كما اعترف بذلك خالد محيي الدين لأنه كان أحدهم) وروى قصة هذه البيعة في كتابه "الآن أتكلم" ، كما اشترك في تدريب الفدائيين ، وحقق معه إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء ، وكان هو وعبد المنعم عبد الرؤوف فرسا رهان في ضباط الإخوان ، وقبل أن يقوم بالحركة عبد الناصر بالفعل طلب الدعم الأمني الداخلي من الإخوان ، فسافر أحد الإخوان إلى الإسكندرية للقاء المستشار الهضيبي - المرشد الثاني - لإخطاره والظفر بتأييده بعد أن أكدوا أنهم مع الإخوان . وتوترت العلاقات بعد ذلك ما بين عبد الناصر والإخوان المسلمون .

وفي سنة ١٩٥٤م ارتكبوا خطأ لا يعترف ، خطأ يمكن أن يُعد خيانة قومية ، ذلك أنهم خذلوا ضباط الفرسان ومحمد

نجيب ، ونقابة الصحفيين والمحامين ، وكل رجال السياسة الذين طالبوا بعودة الجيش إلى معسكراته ، وبدء عهد جديد ، وهاذنوا عبد الناصر الذي استطاع بفضل مهادنة الإخوان أن يتغلب على أعدائه ثم يندار عليهم ، وبدلاً من أن يشكرهم ، فإنه أذاقهم الويلات ، وزج بهم في المعتقلات ، واستخدم التعذيب الخسيس ، ولو فعلوا العكس ، لكانوا أكبر قوة في المجتمع ، ولجنبوا مصر هزيمة ١٩٦٧م المهينة ، ولكنهم أضاعوا فرصة الفرص كما قال الأستاذ محمود عبد الحليم مؤرخ الإخوان .

لقد كانت تلك صفحة من أشد صفحات مصر سواداً ، وأدت إلى تعقيم الإخوان طوال الفترة الناصرية ، كما أدت إلى سقوط الناصرية بهزيمة ٦ يونيو سنة ١٩٦٧م ، ثم بموت عبد الناصر سنة ١٩٧١م .

إن الدروس الثمينة .. والباهظة التي حدثت طوال الحقبة الناصرية كان يجب أن تدفع الإخوان للتفكير في تعديل جذري في تكوينهم وفي مسيرتهم .

لقد قيل لي أن الإمام الشهيد ، وقد روعه ما أصاب الإخوان على يد إبراهيم عبد الهادي وما انتهت إليه الدعوة .. فكر في العودة إلى الطابع التربوي للدعوة ، ولما كنا (أخوة الشهيد) جميعاً في المعتقل في الفترة التي سبقت وأعقت استشهاده فقد تحريت الأمر من بقية أفراد الأسرة وعلمت أنه فكر فعلاً في تعديل "الأسلوب" .

ولكن يبدو أن مثل هذا التفكير لم يرد للقيادات الإخوانية ، وأنا أفهم هذا ، إن مشهد زوجات الإخوان المفجوعات ، المروعات واللاتي جنن يطلبن ما يقيم الأود بعد أن توقفت

مرتبات أزواجهن ، وأطفالهن اللاني أشبهن اليتامى والدور المغلقة أثرت أثرًا عميقًا في نفس المرشد ، في الوقت الذي كنا في معتقل الطور قد كيّفنا أمورنا وعشنا عيشة طبيعية ، ولم يتملكننا الروح الذي يملك الإمام الشهيد ، ولهذا لم يفكر الإخوان بعد خروجهم من المعتقل في التغيير وكانت كل اتصالاتهم مع السادات ومبارك على أساس "صفقات" و "ومساومات" في حالات معينة بذاتها ، ولم تصل إلى تفكير الإخوان في تعديل جذري ، مع أن هذا كان ممكنًا أن ينجح في عهد السادات والأستاذ التلمساني فقد كان كلاً منهما منفتحًا ، وكان سيوقي السادات مخاطر تعرض لها ، كما كان سيكفل للإخوان وجودًا شرعيًا وعملاً مقدسًا في الخدمة العامة تقوم به .

والحق إنني لا أفهم موقف الإخوان ، فلم يكن تحدي الحاكم موقفًا مقررًا لهم ، ووصل توقيهم عداوة مع الحاكم تصل إلى "الفتنة" أن قال المستشار الهضيبي - المرشد الثاني - إنه مستعد لتسليم مفتاح المركز العام لعبد الناصر .

ولم يكن من أهدافهم الوصول إلى الحكم ، فلو كان هذا هدفهم لأسسوا حزبًا في الأربعينات ولدخلوا مجال الانتخابات بكل ثقلهم ، ولكنهم لم يفعلوا .

وجاء في مقال أحد الناقدین للإخوان د. محمود خليل "المصري اليوم" (٢٠٠٩/١٠/١١) ص ١٢ تحت عنوان "الإخوان والحكومة المذعورة" :

"ويبدو أن شعار "السنا طلاب حكم" هو الشعار الحقيقي الوحيد الذي يرفعه الإخوان المسلمون ، رغم أن الحكومة لا تصدقه ، فالإخوان بالفعل لا يريدون حكم هذا البلد ، وإنما

يريدون فقط أن يكونوا أوصياء على الحكم ، فقد كان هذا دأبهم قبل الثورة ، وكان كذلك شأنهم بعد قيام الثورة ، الأمر الذي رفضه كل الحكام المتسلطين على كراسيهم ، فبدأوا يدخلون في صراع حاد معهم كان الضحية الأولى فيه هو الإخوان الذين لم ترحمهم كل الحكومات التي جاءت بعد الثورة" .

وكلمة "الوصاية" هي التي ابتدعها جمال الناصر عندما أراد الإخوان أن يكون هناك نوع من الشورى ، فلا يستبد مجلس قيادة الثورة المكون من ١٢ ضابطاً ليس لهم أي خبرة سياسية بالأمر ، فلم ير في هذا إلا وصاية !

* * *

الفصل التاسع

السراب النبيل الذي ضل الإخوان

تعرضنا في المقال السابق لبعض العوامل التي انحرفت بالإخوان عن مسارهم مثل قضية فلسطين في الأربعينات ، ثم قضية العمل ضد المعسكرات البريطانية في القتال سنة ١٩٥١م ، ثم الصدام مع عبد الناصر الذي أوقف المسيرة طوال الحقبة الناصرية ، ولكننا لم نتعرض لعامل قد يكون أهم من العوامل التي أشرنا إليها ، ذلك هو أن الصورة التي تملكتم مخيلة الإخوان عن "استراتيجية العمل الإسلامي" المطلوب هو النهضة الشاملة التي تماثل ما قام به الرسول ﷺ عندما جعل العرب تؤمن بالإسلام ، وتوجد الأمة المسلمة .

وكانت هذه الصورة هي السبب الذي جعلهم يزهدون في كل النشاطات الجزئية أو الفرعية ، أو لا يرون فيها الأمل المنشود ، فقد كانوا أقدر الناس على محو الأمية في مصر ، ولكنهم تصوروا أن تعريف الجماهير على الإسلام كمنهج حياة ، وتحقيق نهضة أفضل ، لأنه يمكن أن يدفع الأميين لمحو أميتهم ، ولم يدر بخاطرهم أن محو أميتهم ستجعلهم أقدر على فهم الإسلام ، وأن الفرض الأول احتمال ومقامرة على حساب المستقبل في حين أن الفرض الثاني (محو الأمية بالفعل) يمثل عملاً فعلياً وواقعياً ، وليس احتمالاً ، ولا مقامرة على حساب

المستقبل ، فضلاً عن أننا عندما نمحي أمية الأميين فسيكونون أقدر على فهم الإسلام .

وربما تصوروا أن الإسلام أصلاً دعوة هداية ، ولكن هذا نفسه يتعارض مع أن يكون المثل المنشود هو تحقيق النهضة ، لأن ذلك يظهر الإسلام لا كدعوة هداية دائمة ، ولكن كدعوة للوصول إلى إنهاض الأمة الإسلامية أو الدولة الإسلامية وكأنه حقق الغاية ، وانتهى دوره كدعوة هداية .

وتحكمت فيهم مفارقة أن الهدف الشامل ، والنهضة يتعارض مع العمل الجزئي ، ولكنه في الوقت نفسه ، لا يمكن تصور استهداف نهضة شاملة دون أن يكون هناك عمل ما ، إن حزب التحرير الذي ظهر في الأردن في الخمسينات تخلص من هذه المفارقة عندما أعلن إنه حزب سياسي لا يؤمن بالخدمات ولا يستهدف سوى أمر واحد هو إقامة الخلافة ، وإقامة الخلافة أمر مفرد ومن المشكوك فيه أن يحقق شيئاً ، وليس هو بدء النهضة ، أو تكوين الأمة ، فهذه بالطبع أعرس وأكثر تعقيداً من المطالبة بالخلافة .

ويغلب أن الإخوان ليخلصوا من هذا المأزق اختزلوا الهدف في تحقيق الشريعة والحكم بما أنزل الله ، وأعطى هذا دعوتهم طابعاً مبلوراً .. محدوداً ، وفي الوقت نفسه فإنه يصطبح بالأمجاد القديمة بحيث أصبح هو السراب النبيل الذي ضلّهم .

ذلك لأن تطبيق الشريعة هو تعبير آخر عن إقامة دولة وتكوين أمة ، وتحقيق هذا ليس أمراً سهلاً إنه يتطلب جهوداً خارقة من المحتمل أنها كانت تتوفر لدى الإخوان في الأربعينات

قبل أن تتناشهم المعارك والمنازعات .. إلخ .. على أن المشكلة ليست هي هذا .. المشكلة أن ذلك إذا أمكن أن يقوم فلا يحدث على الأسس التي في ذهن الإخوان ، ولا يمكن أن تتكرر دولة خلافة الراشدين - دع عنك دولة المدينة في عهد الرسول □ - لأن التاريخ لا يكرر نفسه كأن ليس هناك تطور ، ولا يمكن شطب أو تجاهل ١٤٠٠ سنة مرت على التجربة الأولى ، وقد قال الحكيم اليوناني قديماً "إنك لا تعبر النهر مرتين .. فالمياه المتدفقة التي خضتها في المرة الثانية مختلفة عن المياه في المرة الأولى" .

وقد أوضحنا هذا المعنى في المقال السابق .

ويفاهم الأمر أن أصول الدولة في الإسلام قد تراجعت في العصور التالية عما كانت عليه أيام الرسول والخلفاء الراشدين ، كما أن الخلافة الحقة لم تقم إلا خلال ثلاثة عشر عاماً طوال الألف وأربعمائة عام التس سلخها الإسلام ، وقد طعنت الخلافة عندما طعن عمر ، وكل ما جاء بعده كان جزءاً من الخلل - أو الفتنة الكبرى - التي انتهت سنة ٤٠ هجرية عندما أعلن معاوية بن أبي سفيان الملك العضوض والحكم السلطوي الوراثي المستبد الذي سمح بالفظائع التي أشرنا إليها في مقالنا السابق ، وخلال هذه الفترة الطويلة اضطر الفقهاء إلى التنازل عن المواصفات التي كانت عليها الخلافة أيام أبي بكر وعمر وسلموا بطاعة المغتصب ، والتسليم للحاكم الظالم ما لم يرتكب كفراً بواحاً ، وقيل إن الكفر البواح كأن لا يصلي ، وفاتهم أن الظلم من الحاكم هو كبيرة الكبائر ، وليس هو بمبعدة من الكفر "إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" .

وهذه الصورة المضطربة التي تجعل البيعة تتعقد بأربعة أوخمسة أو اثني عشر .. إلخ .. كما جاء في أقاويل البعض لوثت الفكرة وسمحت بصور من الشذوذ والانحراف .

وإذا رجعنا إلى التاريخ لوجدنا أن الخلافة لم تضم دول العالم الإسلامي قاطبة إلا لمدة مائة عام بعدها تفككت واستقلت معظم دولها مثل مصر والمغرب والأندلس ، حيث قامت خلافة أموية بجانب الخلافة العباسية ، ثم انتهى الأمر بحكم الترك بعد المعتصم ، وجاء الديلم والسلاجقة ، حتى انتهى إلى بني عثمان ، فكيف يمكن تصور خلافة اليوم تضم المسلمين في العالم أجمع .

بل إن سوء الفهم الذي يصل إلى حد التناقض مع الإسلام الحقيقي جعل كل المحاولات لتطبيق الشريعة أو إقامة حكم إسلامي تصطبب بمقاومة كل ظواهر وخبرات وأوضاع العصر الحديث والعودة إلى نظام بدائي يحرم على المرأة الخروج والعمل ولو كمرضات ، وبغلق دور السينما والمسارح والموسيقى ، ويوجد بوليس إسلامي ليتأكد من إقامة الصلوات ، ويطبق حروف ونصوص الشريعة الخاصة بالحدود ، فيقطع يد السارق ، ويرجم الزاني دون أن يلحظ أن هناك ضمانات شرعية عديدة لإمكان تطبيق الحدود ، وهناك اجتهادات تحل عقوبات غير الجلد والرجم .. ولا تجد أثر لقضاء كالقضاء الحديث الذي يكفل العدالة للمتهم ، ويبيح له استئناف ثم استئناف الاستئناف أمام النقض ، فالعدالة عند هؤلاء هي العدالة الناجزة التي تتم بشهادة اثنين يتلوها التنفيذ فوراً ، ولا تجد فكرة عن تنمية أو عن خدمة أو عن إقامة المرافق العامة أو تشجيع التجارة والصناعة ولافكرة عن تعميم التعليم الأولي للجميع وإقامة جامعات .. كل هذا ليس على "أجندة" الإسلاميين ، ومن يظن في هذا مبالغة

فليدرس محاولات تطبيق الشريعة في طالبان ، وفي السودان ، وفي نيجيريا ، وفي الصومال ، وفي كل مكان ، ففي كل هذه المحاولات يسود الظلم ويعم الجهل وتمحي كرامة الإنسان .

وهكذا ظهر أن فكرة إقامة الخلافة ، وتطبيق الشريعة هي سراب - أي خداع - وأنه إذا كان نبيلاً عندما يصطحب بصورة الخلافة الراشدة ، فإنه كان خسيساً عندما اصطحب بأحكام فقهاء السلطان ، وبالاجتهادات الشاذة التي ظهرت في عصور الجاهلية والإنحلال .

* * *

الفصل العاشر خياران أمام الإخوان (أ) الجهاد في القرية المصرية

كانت استراتيجية عمل الإخوان كما وضعها الإمام
الشهيد :

(أولاً) إصلاح الفرد صحياً بالجسم السليم ، ونفسياً بالتقافة
والدين ، واقتصادياً بالعمل المنتج .

(ثانياً) إصلاح الأسرة عندما يصبح هذا الفرد زوجاً عليه إقناع
زوجته وإصلاحها وعندما يأتي الأبناء فيطبعهم بطابعه
فتكون الأسرة المسلمة

(ثالثاً) إصلاح الحي الذي هو عبارة عن مجموعة من الأسر
المتجاورة .

وكانت البيئة النموذجية لتحقيق هذا البرنامج هي القرية
لعدد كبير من العوامل منها أن الإسلام في القرية هو أكبر
مقوماتها ، ومن ثم تكون دعوة الإخوان هي المدخل الطبيعي
للإصلاح ، وثانياً لأن القرية في حاجة ماسة للإصلاح ، ففي
الماضي كان أعيان الريف لا يتركونه ويظلون فيه ويمثلون نواة
إصلاح وتوجيه في القرية ، ولكن مع اشتداد الفاقة في القرية ،
وتجردها من كافة مرافق الحياة من صرف صحي .. الإضاءة ..

مياه الشرب ، ومع اشتداد جاذبية المدينة ، هجر الأعيان الريف ، كما فقد "العمدة" جانبًا من منزلته وأصبح يُعين ويخضع لهيمنة "النقطة" ، مما جعل حاجة القرية لمصلحين أمرًا لازمًا وملحًا .

في الوقت نفسه فإن الإخوان فلاحون بالطبيعة ، وحسن البناء ريفي ظل يحمل طابع القرية ردحًا طويلاً ، وقد عاشها طفولته وشبابه ، والإخوان يتحدثون بلغة القرية فإنهم أبناءؤها ، وليسوا كالمثقفين الذين ولدوا في المدينة ، واختلفت طريقة كلامهم ، وغذائهم ولباسهم عما في القرية ، ويمكن القطع بأن أي شاب نشأ في القرية وأتم تعليمه في القاهرة أو عواصم المحافظات لابد وأنه ألم بالإخوان فترة طالت أو قصرت ، فشعب القرية هو شعب الإخوان ، ودعوة الإخوان هي دعوة القرية .

ولست مبالغاً إذا قلت أن الإخوان سيجدوا أنفسهم في القرية ، وأن القرية ستحقق نفسها عن طريق الإخوان .

لهذا فإن القرية تتقبلهم تاملًا ولا تستشعر حساسية إزاءهم ، بل وتسلم زمامها لهم

النقطة الهامة هي علاقة العمل في القرية باستراتيجية العمل الإخواني ، وقد قلنا إن بيئة القرية هي أفضل بيئة تسمح بالتطبيق العملي للإصلاح ، لأن القرية أكبر من الحي وأصغر من المدينة ، ويمكن للدعوة أن تسلك طريقها في يسر وسهولة حتى تغطي القرية .

وليس الإصلاح في القرية غريبًا عن الإسلام ، ولعلنا نذكر الرجل الذي جاء النبي ليبيعه على الهجرة ، فسأله ألك أبوان ؟ فلما رد بالإيجاب ، قال الرسول "اذهب ففيهما فجاهد" ، كما

نذكر الآخر الذي قال للرسول جئت إليك وتركت أبوي بيكيان ، فقال له "ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما" ، كما نذكر أن إمطة القذى عن الطريق شعبة من شُعب الإيمان ، والقرية المصرية بحاضرها المزري كلها قذى على طريق الحضارة والتقدم وتخليصها منه من شُعب الإيمان .

من ناحية أخرى ، فإن المعنيين بالإصلاح يزهدون في العمل في القرية لصعوبة ذلك وما يتطلبه من تقشف ومعاناة ، ومعنى هذا أن يصبح الإصلاح في القرية "فرض عين" وليس فرض كفاية ، ويصبح واجباً والتزاماً إسلامياً .

فالعمل في القرية جهاد .. ولا يقل أهمية عن ذلك أن الصياغة التي وضعها الإخوان للإسلام والمراحل الأولى في استراتيجية تطبيقها تتفق مع القرية وتكفيها ، وقد يغطي ذلك المرحلة الأولى في الاستراتيجية التي تتم خلال عشرين عاماً .

ولست الوحيد الذي يحبذ هذا الاتجاه ، كما أنه ليس ثمرة الخيبات والحائط السد الذي وقف أمام الإخوان ، إنها فكرة من الأربعينات اقترحها مواطن من غير الإخوان ، وكتب إلى فضيلة المرشد خطاباً من الإسكندرية حيث يقطن يعرض فيه فكرته ، وقد عثرنا على خطابه بين الأوراق التي آلت إلينا ونشرناه كوثيقة في الجزء الأول من كتاب "من وثائق الإخوان المسلمين المهجولة" ، وأنا أنقل منه الآن (ص ٣١٧) وجاء فيه :

الإسكندرية في ٢٦/١١/١٩٤٨م

سيدي المحترم .. فضيلة المرشد العام

بعد الاحترام ، أسمح لي أن أبدي لفضيلتكم ما يجول بخاطري وما يجيش في نفسي من حب للإصلاح الذي أنشده

للمسلمين عامة ومصر خاصة ، وقد نظرت فلم أر إلا فضيلتكم مرشدًا وداعيًا إلى الحق بما جُيئتم عليه من حب الخير ، ولأنكم من دعاة الإصلاح الذي قيضهم الله للشعوب في كل زمان .

سيدي المرشد : لو نظرنا لمصرنا ومجتمعنا المصري الذي نفخر به أمام الدول وفي المجالس والمؤتمرات الدولية ، وأن تكون مصر زعيمة الشرق والعروبة خاصة لوجدنا شعبنا في لجج من فوضى دينية واجتماعية وخلقية وصحية وسياسية لا ترضينا أمام ضمائرنا وأمام الشعوب الغربية وخاصة الشرقية .

سيدي المرشد الجليل : لو توجهت الإخوان إلى هيئة مصلحة فتكون اجتماعية دينية خيرية "مع أنها منبثة في أنحاء القطر" وكان مركزكم الروحي كخليفة للمسلمين أي مركزاً دينياً روحياً لأسستم وبنيتم للوطن أساساً متيناً من الأخلاق والدين ، ولكانت جمعية الإخوان بعملها الديني والروحي أرفع شأنًا للأفراد وأعلى إيقاظًا للنفوس والوطنية والحماسة في نفوس الشباب المتعطش المحروم من الخلق والدين والصحة ، وإن ما يأت بطريق الشعور والعواطف النبيلة الدينية لأكثر أثرًا في النفس ، ولعرف الشباب كيف يخدم وطنه بإخلاص وبوحي الإيمان ، أما أن ننفخ في بوق السياسة والشعب مريض النفس والجسم والعقل "فلا حياة لمن تنادي" .

وإني على ثقة من أن ما تستفيده مصر والإسلام على يديكم من هذه الوجهة لأعظم أثرًا وأكبر فضلاً وأجزل عند الله مثوبة من أي طريق آخر تهاجمه الحكومات المختلفة بين كل أونة فيضيع عملكم الاجتماعي الديني الآخر ، ولقد اضاعت السياسة على مصر زماناً طويلاً من تاريخها ولم تجني الثمرة للآن ولا

ندري متى نجنبها؟؟ "ولكلَّ وجهه هُوَ مؤلِّها فاستيقوا
الخيرات".

فعلى الإخوان أن يقوموا بواجبهم الداخلي في مصر
للإصلاح المنشود وتعاون الحكومة في ذلك مادياً وإدارياً "مثل
هذا فليعمل العالمون".

اقترح بالإصلاح الاجتماعي والتعاون فيه مع المختصين

تحويل الشعب إلى جمعيات خيرية :

تقوم كل شعبة في الأحياء الوطنية والقرى "بأنحاء القطر
المصري" وبعد الإكثار من تجديد دور لشعب جديدة كثيرة ،
تقوم بعمل اجتماعي مثمر خيري كفتح مدارس :

(١) أسوة بشعب إخوان إسكندرية فقد كان مشروع
مدارس الإخوان فيه عملاً سينتج أحسن الثمار بإذن
الله .

(٢) تقوم الشعبة بعد تقسيمها إلى لجان مختلفة تقوم
إحدى اللجان ببحث حالات العائلات الفقيرة في
قريتها أو في مركزها وجهتها وأن يكون لها زوار
أو زائرات اجتماعيات لفحص حالة العائلات ثم
توجهه للوزارات المختلفة كشفاً بحالات الأسر
والأفراد هذا إلى مدرسة وذاك إلى إيجاد عمل له
وذاك إلى ملجأ أو مستشفى .

(٣) تتمر اللجنة بشوارع وأحياء الحي لجمع المشردين
وذوي المهن الحقيرة للتحري عنهم وعمل اللازم مع
الشئون الاجتماعية لرفع مستواهم أو إيوائهم في

أمكنة خاصة بكل حي وملاحظتهم وتبئتهم أو كفالتهم أو إنشاء المصانع لهم أو إيجاد أي عمل يقومون به تحت ملاحظة مختصين في ذلك .

(٤) تقوم لجنة أخرى في كل شُعبة لعمل "القرض الحسن" فيلجأ إلى الشُعبة كل أسرة وكل أرملة وكل محتاج ومحتاجة تقرر ما يلزمها مقابل رهن شيء "بدل محلات الرهونات اليهود الذين يستغلون فقر الشعب في الربا الفاحش" ، وأماكنهم المظلمة التي تدخلها النساء والفتيات للقرض من خراجات يظهر اللؤم على شبابهم والضعفة في منظرهم ، وكم يتفتت قلب المسلم كلما وقعت عينه على مسلمة تقف في محل الرهونات "تستعطفه القرض بالربا" ، فأين العمل الصالح منا لإخواننا المواطنين الفقراء .

ولو أن هذا المشروع يا فضيلة المرشد قد عم القطر كله في آن واحد "على أن يتطوع لكل عمل من يرى في نفسه حب الإصلاح والخير لوجه الله وبلا مقابل مع اختيار الأكفاء ذوي الحزم والإخلاص" لاستفادت مصر من جمعية الإخوان من هذا السبيل أكثر مما تستفيده من طريق آخر ولخطت مصر نحو التقدم بخطوات واسعة ولاستحق أن يكون كل فرد يعمل في الجمعية بهذا الإخلاص من الذين قال الله فيهم "الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ" .

والسلام عليكم ورحمة الله ودمتم ،،

زكي عبد العليم

الإسكندرية - شارع الدكتور سالم بعرفان - محرم بك

حيالك الله يا أستاذ زكي إن كنت من الباقين .. ورحمة الله عليك إن كنت من السابقين ، ووالأسفاه أن الإخوان لم يأخذوا به من الأربعينات ، إن هذا ليس عملاً خيرياً ، ولكنه إرساء للمجتمع الصالح الذي هو قاعدة التقدم .

* * *

الفصل الحادي عشر

خياران أمام الإخوان

(ب) إسلام العدالة والتنمية

في العدد الماضي عرضنا الخيار الأول أمام الإخوان ، وهو الجهاد في القرية ، وهو في نظرنا أليق الخيارات لهم ، وفي الوقت نفسه فإنه أعظمها فائدة محققة ؛ لأنه إصلاح الإنسان والأوضاع معاً ، ولأنه يتناسب مع التنظيم والتنظير ، ولكن إذا أثر الإخوان أن يخوضوا غمرات الدنيا ، وأن يُعنوا بالأوضاع قبل الإنسان وأن يدخلوا ميدان السياسة فسيكون عليهم أن يؤسسوا حزب "العدالة والتنمية" ، وأن يغيروا جلدهم القديم تماماً ، وأن ينتقلوا من إسلام السلفية والصوفية إلى إسلام المدنية والعصرية ، وما يتطلبه هذا من تغيير جذري في التنظيم والتنظير ، الفهم والعمل ، وسيكون على الإخوان أن يقولوا وداعاً لشعارات ، ومبادئ عاشت فيهم وعاشوا فيها فليس المطلوب أن يموتوا في سبيل الله ، ولكن أن يعيشوا في سبيل الله ولن يكونوا "رهباناً في الليل فرساناً في النهار" ، فهذا لا يتسق ، ولا هو مطلوب ، فضلاً عنه أنه يخالف النسق الجديد ، وعليهم أيضاً أن يتخلصوا من السيفين يتوسطهما مصحف ؛ لأن الرمز المطلوب هو للبناء .. والعدل .

وعليهم أن ينسوا "المأثورات" ورسالة "المناجاة" ، وأن يتجاوزوا السلفية التي لا تقدم لهم إلا آراء الأئمة من ألف عام ، وهي من وجهة نظر العصر من سقط المتاع ، وعليهم أن لا يعودوا إلى السياسة الشرعية لابن تيمية والأحكام السلطانية للماوردي ، وأن تكون علاقتهم مع القرآن الكريم مباشرة ، وأن يؤمنوا بالرسول كقائد ، ومؤسس أمة ، كما هو رسول دين ودعوة ، بل قد يصل الأمر إلى الانفصال عن المنطوق الإسلامي وأن يعلنوا - مخلصين - أنهم أولاً وآخرًا دعاة عدالة وتنمية .

فالحكم الإسلامي لا يستهدف إعلاء الفضيلة ، ولا تعميق الإيمان الديني ، لأن الحكم - بما في ذلك الحكم الإسلامي - أعجز وأفلس من أن يقدم شيئاً من هذا ، وقد قال الإسلام بصريح العبارة "وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ" ، فجعل العدل محور الحكم ، وعندما يقول الإخوان "العدالة" ، فإنهم يطبقون آية دون أن يذكروها ، وهل المهم الذكر أو العمل ؟ وعندما يقولوا "العدل" فكأنهم قالوا "الشريعة" ، لأن الشريعة هي العدل ، وقد أوضح ذلك ابن قيم الجوزية بعبارات ليس فيها أي لبس ، فقال "إن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض ، فإذا ظهرت أمارات الحق وقامت أدلة العقل وأسفر صبحه بأى طريق كانت فُثم شرع الدين ودينه ورضاه وأمره ، والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وإماراته فى نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التى هى أقوى منه ، وأدل وأظهر بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط فأى طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها وبمقتضاها .

والطرق أسباب ووسائل لا تتراد لذاتها ، وإنما المراد غاياتها التي هي المقاصد ، ولكن نبه بما شرعه من الطرق على أسبابها وأمثالها ولن تجد طريقا من الطرق المثبتة للحق إلا وهي شرعة وسبيل للدلالة عليها" .

وفى المناسبة الثانية قال تحت عنوان "بناء الشريعة على مصالح العباد فى المعاش والمعاد" ، فإن الشريعة بناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد، وهى عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل" .

ومن الأمور التي يجب أن يتنبه لها الإخوان ويثبتوها في برنامجهم السياسي أن العدل لا يتحقق إلا بإقامة "الآليات" التي تحققه وأهمها المحاكم على اختلافها ، كما توصلت إليها النظم الحديثة وقانون الإجراءات ، وكذلك النقابات والجمعيات والأحزاب .. إلخ ، لأنه بدون المحاكم التي تحمي العدل والنقابات التي تحول دون الظلم لا يمكن تحقيق العدالة والأحزاب التي تتولى الحكم نتيجة لانتخابات نزيهة ، ويجب النص على استقلال الجهاز القضائي وإقامة المحاكم بنظمها الحديثة وحرية الصحافة التي هي الحارس الشعبي والمفتوح للعدل ، وهذا ما سيحتم على الإخوان قبول "الحرية" ، لأنه لا عدالة دون وجود حرية ، فالحرية هي التي تسمح بتكوين الآليات التي تطبق العدالة .

وهناك قضايا رئيسية لا بد من تصفيتها والوصول إلى النتيجة النهائية فيها حتى لا يكون هناك مجال فيها أو تستغل ضد الدعوة .

من هذه القضايا قضية حرية الفكر والتعبير ، بما في ذلك حرية العقيدة ، واستبعاد وجود حد على الردة لمنافاة ذلك لصريح القرآن ولعمل الرسول ولا بد من رد كل الأحاديث التي تخالف ذلك ، وأن يكون الموقف من الأحاديث التي تخالف القرآن أنها لا تلتزمنا لأننا لو التزمنا بها لفرطنا في حق القرآن ، وحرية الفكر لا تقتصر على الناحية الدينية ولكنها تضم كل المجالات ، ويكون التعامل مع الرأي المخالف مهما كانت مخالفته هي بالرد كلمة بكلمة وبرهاناً ببرهان ، أما فكرة المصادرة أو المحاكمة فمستبعدة نهائياً ، ويقترن بحرية الفكر حرية التعبير لأن حرية التعبير هي تفعيل حرية الفكر ومعنى هذا حرية إصدار الصحف وتكوّن الأحزاب والنقابات ، ولا يكون للسلطة التنفيذية أو لجهات إدارية حق في التنصل أو اشتراط أخذ إذن أو تسجيل .. إلخ .

وتتميز الإسلام على الأديان الأخرى بأنه يعترف بها ويؤمن بأنبيائها ورسالتها ويفرض على المسلمين ذلك ولا يفرق بين الأنبياء ، وهي مفخرة للإسلام يكون على الإخوان التمسك بها بحيث يوجد جسر إيماني بين الإسلام والمسيحية واليهودية ، ولا تكون هناك حساسيات ولا تفاضل ، وهذا كله مما جاء به الإسلام وسبق البشرية بألف وأربعمائة عام فلا يعقل أن يأتي المسلمين ويهدموه باسم الإسلام أيضاً .

والعلاقة ما بين الأفراد في دولة العدالة والتنمية هي المواطنة التي تقوم على مساواة المواطنين جميعاً دون تفرقة جنس أو دين ، وهذا أيضاً ما سبق به الإسلام ، فعلى الإخوان أن يعيدوا بعث صحيفة "الموادعة" التي دونها الرسول عندما دخل المدينة وقرر فيها "أن الأنصار والمهاجرين واليهود الذين حالفوا الأنصار أمة واحدة .. للمسلمين دينهم وللإهود دينهم" .

هذا عن العدالة وتداعياتها ، فما هو شأن التنمية ؟

التنمية تعني القوة ، والإسلام يدعو للقوة ويفضل المسلم القوي على المسلم الضعيف .. الدولة القوية على الدولة الضعيفة "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" ، والتنمية هي الأخذ بالأسباب التي تؤدي إلى القوة ، وذلك بالدراسة والبحوث المعملية والميدانية عن وسائل الوصول إلى "الطاقة" المحركة وتصنيع المواد ، وفي بعض الحالات "تخليق" المواد .

يجب أن نعلم إن العالم تعرض لتغيير جذري لم يسبق ، وليس له مثيل عندما حدثت الثورة الصناعية التي أدت إلى اكتشاف طاقة "البخار" كقوة محرك وأمكن صنع الآلات من الحديد التي حلت محل "العدة" للعامل الحرفي وأدت الثورة الصناعية إلى سلسلة من الثورات في الإنتاج ، يعود بعضها إلى الذكاء وإعمال العقل ، بينما يعود البعض الآخر إلى بحوث معملية دقيقة في الكيمياء والطبيعة والرياضة توصلت إلى الذرة وحساباتها ، وطابعها المدمر أو المعمر ، وأن هذا قسم العالم قسمين : قسم متقدم يأخذ بأسبابها ، وقسم متخلف لا يزال يعيش في مرحلة الثورة الصناعية الأولى (ولعله يعيش قبلها كما لا يعدم حالات بدائية في أعماق الريف والصعيد للإنتاج) .

والتنمية هي تفعيل هذا التقدم الإنتاجي ليكون في خدمة الشعوب فيرفع حالها المادي باكتشاف الموارد الحديثة ، وحالها الاجتماعي بما يقدمه من ثقافة ومن حراك اجتماعي ، وكذلك القوة العسكرية التي تقوم أو تعوم على حاملة الطائرات ، وهي جزائر عائمة تحمل الطائرات والمدافع والجنود ، وتغني عن المواقع العسكرية الأرضية .

إن ما يمكن أن يقدمه الإخوان كإضافة إلى التنمية ، هو أن توضع خططها بالمشاركة ما بين الجماهير والمسؤولين ، فيعلن عنها في الصحف ويكون من حق كل واحد أن يعلن رأيه ويقدم إضافته ، ويجب أن تكون هناك لجنة من كبار المسؤولين تنظر في هذه الآراء وتأخذ بالصالح منها وتنحي الباقي بعد أن تثبت الأسباب الموضوعية لذلك ، وعندما تبدأ التنمية بالفعل يكون من حق الجماهير متابعة تطبيقها وتفعيلها حتى تأمن لها المسيرة وتحول دون الانحراف ويجب أن يبدأ قطار التنمية من محطة العدالة بحيث لا يوجد شعبان ممتلئ إلى جانب جائع يتضور ، وتحقيق العدالة يكون بإصدار القوانين التي تقرر المقاربة ما بين الأجور والدخول ، ومن محطة العدالة ينتقل قطار التنمية إلى مرحلة الكفاية وهي المرحلة التي تستهدف مضاعفة الموارد ورفع مستويات المعيشة .

وسيكون من حظ التنمية أن يتولاها الإخوان ، كما سيكون من حظ الإخوان أن يتبنوا التنمية ، ذلك لأن الرأسمالية استغلت التنمية ليكون الأغنياء أكثر ثراءً ، والفقراء أشد فقراً ، الأمر الذي أدى لظهور أفكار جديدة عن التنمية البشرية أو التنمية المستدامة ، وحال دون فعاليتها قيامها على أيدي "الفنيين" في حين أن الصورة المثلى والمطلوبة للتنمية أن تكون معركة حضارية ، أو جهاداً ، أو هي الفريضة الواجبة وعندما يقود الإخوان التنمية فإنهم سيشلون الاستغلال الرأسمالي ، كما سيقضون على عيوب "التخطيط المركزي" الذي أخذ به الاتحاد السوفيتي وأوقع الإنتاج في دوامة البيروقراطية .

وهكذا يتضح أن للإسلام نظرية في التنمية ، وأن العمل فيها هو جهاد أفضل أي جهاد آخر .

أن الإسلام وإن فطن إلى أن أساس الحكم هو العدل ، إلا أنه لم يفترض دوراً في التنمية ؛ لأن الإنتاج كان يدوياً يقوم على الحرفي وعلى العدة ، ولكن كان يجب على الفكر الإسلامي أن يتابع التطور الثوري الذي حدث للإنتاج وظهور طابع المنشآت الضخمة التي تفرض نفسها على الاقتصاد ، مما يستتبع أن يكون للدولة دور فعال ، وبالتالي تدخل في إطار الحكم .

* * *

القضية الهامة في الموضوع هل يمكن للإخوان تحقيق هذه النقلة الجذرية والإنسلاخ من ماضي يعيش فيهم ويتملكهم ؟ أعتقد أن هذا إذا أمكن فبالنسبة لجيل جديد من الإخوان لا يكون قد خضع لهيمنة الفكر القديم ولمبدأ "الطاعة" في المنشط والمكره المفروض أن يكون للرسول وحده .

كما يجب القول أن أعضاء حزب العدالة والتنمية مسلمون يؤدون الفرائض المكتوبة ، ولكنهم لا يلتزمون بما يزيد عنها ، كما أن فكرهم ليس سلفياً ، وهم يأتنون قلبهم وضميرهم بحيث لا يكونون في حاجة للبحث في كتب التراث أو سؤال الفقيه ، فالإسلام يسر وعقل وضمير ، وعندما يعالجون موضوع "العدالة والتنمية" موضوعياً أكثر منه إسلامياً ، فهذا حتى لا يتعرضوا للأفكار التراثية الرجعية التي لا يزال يؤمن بها أعداد كبيرة ، وكذلك لأن المعول في الدنيويات هو العقل والعلم أكثر مما هو الوحي أو النقل .

* * *

فهرس

صفحة

٣	مقدمة
		الفصل الأول
٦	مقدمات
		الفصل الثاني
١٢	(أ) الفكر الأساسي للإمام حسن البنا
		الفصل الثالث
١٨	(ب) الفكر الأساسي للإمام حسن البنا
		الفصل الرابع
٢٥	حق .. ولكنه ليس الوحيد
		الفصل الخامس
٣١	الإسلام يضع أصول الحكم
		الفصل السادس
٣٨	الإسلام لا يتورط في الحكم
		الفصل السابع
٤٤	ليس كل ما يصلح في الماضي يصلح في الحاضر
		الفصل الثامن
٥٠	قضايا طارئة .. وفرص مهدرة

الفصل التاسع

٥٦ السراب النبيل الذي ضلل الإخوان

الفصل العاشر

خياران أمام الإخوان

٦١ (أ) الجهاد في القرية المصرية

الفصل الحادي عشر

خياران أمام الإخوان

٦٨ (ب) إسلام العدالة والتنمية

ملحق [١]

عن جمال البنا

- ولد فى المحمودية من أعمال محافظة البحيرة (تبتعد عن الإسكندرية ٥٠ كيلو) فى ١٥/١٢/١٩٢٠م من أسرة نابهة عرفت بعلو الهمة ، فوالده هو مصنف أعظم موسوعة فى الحديث (مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى فى ٢٤ جزءاً ، وشقيقه الأكبر هو الإمام الشهيد حسن البنا المرشد المؤسس للإخوان المسلمين .
- عكف منذ طفولته على الاطلاع بحيث تزود بحصيلة ثقافية غزيرة ، وبعد أن أتم دراسة الابتدائية ودخل المدرسة الخديوية الثانوية . حدث شجار بينه وبين أستاذه فى اللغة الإنجليزية وهو إنجليزى ، فترك الدراسة غير آسف ، واستكمل دراسته بوسائله الخاصة .
- واصل جمال البنا مطالعته ، وأصدر كتابه الأول سنة ١٩٤٥م وهو عن الإصلاح الاجتماعى، وفى العام التالى (١٩٤٦م) أصدر كتابه "ديمقراطية جديدة" الذى تضمن فصلاً بعنوان "فهم جديد للقرآن" استعرض فيه فكرة المصلحة كما قدمها الإمام الطوفى ، وانتقد الموجة الحماسية لدى بعض الدوائر بفعل نجاح دعوة الإخوان المسلمين وقال : "لا تؤمنوا بالإيمان .. ولكن بالإنسان" وهذه الملاحظة لا تزال أحد معالم دعوة الأستاذ جمال البنا فى الإحياء الإسلامى .
- فى عام ١٩٥٢م أصدر "مسئولية الانحلال بين الشعوب والقادة كما يوضحها القرآن الكريم" كما أسس (١٩٥٣ - ١٩٥٥م) الجمعية المصرية لرعاية المسجونين ، وحققت الجمعية ثورة فى إصلاح السجون ، وأدت إلى مجابهة بينه وبين السلطات .

- عندما قامت حركة الجيش في مصر بقيادة عبد الناصر في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م بدأ الأستاذ جمال البنا في كتابة كتاب باسم "ترشيد النهضة" ارتأى في الفصل الأول أن هذه الحركة هي انقلاب عسكري وليس ثورة ، وما أن اطلع الرقيب على ذلك حتى أصدر أمراً بمصادرة الكتاب ، وأخذ كل الملازم المطبوعة ، وبهذا التصرف تأكد جمال البنا من أن الحركة ذات طابع ديكتاتوري ، وأن لا فائدة من محاولة تقم الرأي والمشورة .
- غنى الأستاذ جمال البنا خلال الحقبة الناصرية المعادية للاتجاهات الإسلامية بالحركة النقابية ، فأصدر وترجم الكثير من الكتب والمراجع التي نشرتها منظمة العمل الدولية بجنيف والجامعة العمالية بمدينة نصر والدار القومية.. كما حاضر بصفة منتظمة في معهد الدراسات النقابية منذ أن تأسس سنة ١٩٦٣م حتى سنة ١٩٩٣م عندما انتقد التنظيم النقابي القائم .
وقد كان آخر كتبه النقابية عن (المعارضة العمالية في عهد لينين) الذي كتبه مدام كولونتاي ، فقام بترجمته والتعليق عليه .
- في سنة ١٩٨١م أسس جمال البنا الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل ، وكانت منظمة العمل الدولية قد استعانت به في عدد من الترجمات ، كما استعانت منظمة العمل العربية كخبير استشاري . وبحكم هذه الصفات نظم شبكة من العلاقات بقيادات اتحادات ونقابات في كثير من الدول الإسلامية . وفي ١٩٨١م دعا معظمها للاجتماع في جنيف خلال انعقاد مؤتمر العمل الدولي بها ، وفي هذا الاجتماع تأسس الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل من مندوبي اتحادات عمالية في الأردن والمغرب وباكستان والسودان وبنجلاديش .
وللاتحاد مكتب في كوالامبور وآخر في الرباط .

- مع السبعينات وملاءمة المناخ للعمل الإسلامي بدأ الأستاذ جمال البنا كتابته التي كان أولها "روح الإسلام" و "الأصلان العظيمان : الكتاب والسنة" ، وعددًا آخر من الكتب لا يتسع المجال لها .
- ابتداء من ١٩٩٠م شغل بإصدار كتابه الجامع "نحو فقه جديد" في ثلاثة أجزاء الذي دعا فيه إلى إبداع فقه جديد يختلف عن الفقه القديم ، ولا يلتزم ضرورة بالتفسيرات ، أو علوم الحديث .. الخ ، أو أصول الفقه ، وصدر الجزء الثالث عام ١٩٩٩م .
- أثار الكتاب ضجة كبيرة ودعا بعضهم لمصادرته ، ولكن المسؤولين تنبهوا إلى هذا سيذيع دعوته فمارسوا مؤامرة صمت إزاءه ، رد عليها جمال البنا عام ٢٠٠٠ بإعلان تأسيس "دعوة الأحياء الإسلامي" التي ضمنها خلاصة فكره الإسلامي والسياسي والثقافي .
- في سنة ١٩٩٧م أسس بالمشاركة مع شقيقته السيدة فوزية "مؤسسة فوزية وجمال البنا للثقافة والإعلام الإسلامي" ، وتبرعت السيدة فوزية بقرابة نصف مليون جنيه للمؤسسة مكنها أن تؤدي دورها في غنى عن السؤال .
- ولما كانت زوجة الأستاذ جمال البنا قد توفيت سنة ١٩٨٧ ولم يتزوج بعدها ، فإنه حول شقيقته إلى مكتبة تحمل اسم المؤسسة . وتضم المكتبة قرابة خمس عشر ألف كتاب عربي ، وثلاثة آلاف بالغة الإنجليزية ، كما تضم مكتبة والد الأستاذ جمال وشقيقه الأستاذ عبد الرحمن ، والكثير من تراث آل البنا ، والأصول الخطية لكتب الشيخ البنا ، وقد زودت المكتبة بقاعة إطلاع وآلة تصوير ووحدة كمبيوتر .
- بالمكتبة ١٥ ألف كتاب عربي وثلاثة آلاف كتاب إنجليزي وبها قسم للدوريات يضم ١٥٠ مجلة ، وبعض الموسوعات

والمجموعات القديمة لصحف الإخوان المسلمين من سنة ١٩٣٦م ، وأوراق خطية للإمام الشهيد حسن البنا ، والكثير من وثائق الإخوان المسلمين ، فضلاً عن جذاذات من الصحف ، ومسودات وأصول كتب للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا ولجمال البنا .

■ استطاع الأستاذ جمال البنا بفضل تفرغه للكتابة أن يصدر أكثر من مائة كتاب (منها قرابة عشرة مترجمة) وهو يكتب بتمكن وأسلوب سهل ، وإن كان له طبيعة فنية ، وقد أصدر كتاباً من ثلاثمائة صفحة عن "ظهور وسقوط جمهورية فايمار" كما تعد كتبه عن "الدعوات الإسلامية" من المراجع الرئيسية لما توفر له من صلات ومراجع .

■ أن دعوة الإحياء الإسلامى رغم أنها قوبلت بتعظيم إخبارى أريد به عدم التعريف بها ، فإنها شقت طريقها ليس فحسب فى مصر والدول العربية ، ولكن أيضاً فى الخارج حيث أصبحت محل اهتمام الهيئات الدولية والجامعات ، وهي لا تهدف لتكوين حزب أو جماعة ، ولكنها تريد أن تقدم رؤية حرة للإسلام يُعد كل من يؤمن بها مالكا لها أو شريكاً فيها .

■ لدعوة الإحياء الإسلامى موقع على الانترنت ، وعنوان إلكترونى كالاتى :

E-mail : gamal_albanna@yahoo.com
gamal_albanna@islamiccall.org
www.islamiccall.org

وعنوانها : ١٩٥ شارع الجيش - ١١٢٧١ القاهرة

هاتف وفاكس ٢٥٩٣٦٤٩٤

ملحق [٢] بقلم المؤلف

(مؤلفات)

- (١) ثلاث عقبات في الطريق إلى المجد (١٩٤٥م)
- (٢) ديمقراطية جديدة (١٩٤٦م)
- (٣) على هامش المفاوضات (١٩٤٧م)
- (٤) نقد النظرية الماركسية (١٩٤٨م)
- (٥) مسئولية الانحلال بين الشعوب والقادة كما يوضحها القرآن الكريم (١٩٥٢م)
(الطبعة الثانية) (١٩٩٩م)
- (٦) ترشيد النهضة (صودر قبل التوزيع) (١٩٥٢م)
- (٧) الأزمة والبطالة في الرأسمالية (١٩٥٣م)
- (٨) موقف الفكر العربي تجاه المذاهب السياسية المعاصرة (١٩٥٧م)
- (٩) في الإجازة (١٩٥٧م)
- (١٠) دور المنظم في الحركة النقابية (١٩٥٧م)
- (١١) قصة فرسان العمل (١٩٦٢م)
- (١٢) القانون والقضاء في المجتمع الاشتراكي (١٩٦٢م)
- (١٣) نشأة الحركة النقابية وتطورها (١٩٦٦م)
- (١٤) التنظيم والبنيان النقابي (١٩٦٦م)
- (١٥) التاريخ النقابي في المجتمع الاشتراكي (١٩٦٧م)
- (١٦) دور النقابات المقارن (١٩٦٧م)
- (١٧) مسئولية القيادات النقابية (ملحق مجلة العمل ، العدد ٣٦) (١٩٦٧م)
- (١٨) الثقافة العمالية بين حاضرها ومستقبلها (١٩٦٩م)
- (١٩) منظمة العمل الدولية (ملحق مجلة العمل ، العدد ٦٤) (١٩٦٩م)
- (٢٠) الحركة العمالية الدولية (ملحق مجلة العمل ، العدد ٧٢) (١٩٧٠م)
- (٢١) العمل في الإسلام (ملحق مجلة العمل ، العدد ٨٥) (١٩٧١م)
- (٢٢) محاضرات في الإدارة النقابية (١٩٧٢م)
- (٢٣) الحرية النقابية (ملحق مجلة العمل ، عدد مارس) (١٩٧٢م)
- (٢٤) روح الإسلام (١٩٧٢م)
- (٢٥) قضية الإنتاج (١٩٧٣م)
- (٢٦) العمال والدولة العصرية (ملحق مجلة العمل ، عدد مايو) (١٩٧٥م)

- (٢٧) ظهور وسقوط جمهورية فايمار (١٩٧٧م)
- (٢٨) حرية الاعتقاد في الإسلام (١٩٧٧م)
- (٢٩) بحوث في الثقافة العمالية (١٩٧٨م)
- (٣٠) الدعوات الإسلامية المعاصرة ما لها وما عليها (١٩٧٨م)
- (٣١) من موجة الأمية إلى الجامعة العمالية (ملحق مجلة العمل ، عدد مايو) (١٩٧٨م)
- (٣٢) الجامعة العمالية (١٩٧٩م)
- (٣٣) الأصول الفكرية للدولة الإسلامية (١٩٧٩م)
- (٣٤) بيان رمضان (١٩٧٩م)
- (٣٥) الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل (*) (١٩٨٠م)
- (٣٦) أزمة النقابية ما بين المجتمع الرأسمالي والمجتمع الاشتراكي (*) (١٩٨١م)
- (٣٧) الإسلام والحركة النقابية (*) (١٩٨١م)
- (٣٨) الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل يبدأ المسيرة (*) (١٩٨١م)
- (٣٩) رسالة الإسلام (*) (١٩٨٢م)
- (٤٠) الأعلان العظيمان : الكتاب والسنة (رؤية جديدة) (١٩٨٢م)
- (٤١) أخت الصلاة المهجورة (*) (١٩٨٢م)
- (٤٢) الخيار الصعب (*) (١٩٨٢م)
- (٤٣) الحركة النقابية من منطلق إسلامي (*) (١٩٨٢م)
- (٤٤) الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل في عامين (*) (١٩٨٣م)
- (٤٥) الحساسية الدينية (وجيب) (*) (١٩٨٣م)
- (٤٦) الفريضة الغائبة : جهاد السيف أم جهاد العقل ؟ (١٩٨٤م)
- (٤٧) العودة إلى القرآن (١٩٨٤م)
- (٤٨) نظم الثقافة العمالية في الوطن العربي (*) (١٩٨٤م)
- (٤٩) وجوه الائتلاف والاختلاف بين الرأسمالية والشيوعية والإسلام (*) (١٩٨٤م)
- (٥٠) الدولة العصرية (*) (١٩٨٥م)
- (٥١) رؤية لضمون الحكم بالقرآن (*) (١٩٨٥م)
- (٥٢) محكمة العدل الدولية الإسلامية (*) (١٩٨٥م)
- (٥٣) الحكم بالقرآن وقضية تطبيق الشريعة (١٩٨٦م)
- (٥٤) الربا وعلاقته بالممارسات المصرفية والبنوك الإسلامية (١٩٨٦م)
- (٥٥) لا حرج : قضية التيسير في الإسلام (*) (١٩٨٦م)
- (٥٦) نحن ودعوتنا (*) (١٩٨٦م)

- (٥٧) لست عليهم بمسيطر (قضية الحرية في الإسلام) (*) (١٩٨٦م)
- (٥٨) تعميق حاسة العمل (*) (١٩٨٦م)
- (٥٩) العهد (*) (١٩٨٧م)
- (٦٠) مشروع لإصلاح الحركة النقابية (١٩٨٧م)
- (٦١) تاريخ الثقافة العمالية في مصر (١٩٨٧م)
- (٦٢) الشورى في الإدارة (*) (١٩٨٨م)
- (٦٣) الحركة العمالية الدولية (وسيط) (*) (١٩٨٨م)
- (٦٤) عمال السودان والسياسة (بالاشتراك مع د. عبد الحمن الساعوري ، والأستاذ قسم السيد) (*) (١٩٨٨م)
- (٦٥) الحركة العمالية الدولية (كبير) (١٩٨٨م)
- (٦٦) الحساسية الدينية (وسيط) (١٩٨٨م)
- (٦٧) الإسلام هو الحل (٨١٣ صفحة) (١٩٨٨م)
- (٦٨) تفسير حديث (من رأى منكم منكراً فليغيره) (١٩٨٨م)
- (٦٩) الحرية النقابية (ثلاثة أجزاء) (*) (١٩٨٩م)
- (٧٠) الحركة النقابية السودانية تجد نفسها (*) (١٩٨٩م)
- (٧١) خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه مع ترجمة مسهبة وموثقة لحياة وعمل الوالد الشيخ أحمد البنا (١٩٩٠م)
- (٧٢) الإسلام والعقلانية (١٩٩١م)
- (٧٣) العمل الإسلامي لإرساء سيادة الشعب والحكم الدستوري (١٩٩١م)
- (٧٤) رسالة إلى الدعوات الإسلامية من دعوة العمل الإسلامي (١٩٩١م)
- (٧٥) البرنامج الإسلامي (١٩٩١م)
- (٧٦) الحركة النقابية حركة إنسانية (*) (١٩٩٢م)
- (٧٧) الإضراب والمواثيق الدولية التي تعترف به (*) (١٩٩٢م)
- (٧٨) النقابات المهنية المصرية في معركة البقاء (*) (١٩٩٢م)
- (٧٩) نحو تعددية نقابية دون تفتت أو احتكار (*) (١٩٩٣م)
- (٨٠) الإيمان بالله في القرآن الكريم ولدى السلف والمعتزلة والمعاصرين (١٩٩٣م)
- (٨١) كلاً ثم كلاً : كلاً لفقهاء التقليد .. وكلاً لأدعياء التنوير (١٩٩٤م)
- (٨٢) الجمع بين الصلاتين في الحضر (١٩٩٤م)
- (٨٣) لماذا يجب أن يكون للحركة النقابية عقيدة ؟ (*) (١٩٩٤م)
- (٨٤) المعارضة العمالية في عهد لينين (*) (١٩٩٤م)
- (٨٥) مسئولية فشل الدولة الإسلامية في العصر الحديث وبحوث أخرى (١٩٩٥م)
- (٨٦) العمل في الفكر الأوروبي والفكر الإسلامي (١٩٩٥م)
- (٨٧) المشروع الحضاري بصراحة (١٩٩٥م)
- (٨٨) نحو فقه جديد .. الجزء الأول : منطلقات ومفاهيم فهم الخطاب القرآني (١٩٩٥م)

- (٨٩) ما بعد الإخوان المسلمين؟؟ (١٩٩٥م)
- (٩٠) خمسة معايير لمصادقية الحكم الإسلامي (١٩٩٦م)
- (٩١) صفحة مطوية من الخدمة الاجتماعية (١٩٩٦م)
- (٩٢) منظمة العمل الدولية (*) (١٩٩٦م)
- (٩٣) نحو فقه جديد .. الجزء الثاني : السنة ودورها في الفقه الجديد (١٩٩٦م)
- (٩٤) الإسلام والحرية والعلمانية (سلسلة رسائل /٢) (١٩٩٤م)
- (٩٥) حرية الفكر والاعتقاد في الإسلام (سلسلة رسائل /٣) (١٩٩٧م)
- (٩٦) قضية تطبيق الشريعة (سلسلة رسائل /٤) (١٩٩٨م)
- (٩٧) المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء (١٩٩٩م)
- (٩٨) منحج الإسلام في تقرير حقوق الإنسان (١٩٩٩م)
- (٩٩) الإسلام وحرية الفكر (١٩٩٩م)
- (١٠٠) نحو فقه جديد (الجزء الثالث) (١٩٩٩م)
- (١٠١) استراتيجيات الدعوة الإسلامية (٢٠٠٠م)
- (١٠٢) طلبنا الأول هو الحرية (٢٠٠٠م)
- (١٠٣) قضية الفقه الجديد (٢٠٠١م)
- (١٠٤) التعددية في مجتمع إسلامي (٢٠٠١م)
- (١٠٥) تشوير القرآن (٢٠٠١م)
- (١٠٦) الحجاب (٢٠٠٢م)
- (١٠٧) الجهاد (٢٠٠٢م)
- (١٠٨) تفسير القرآن الكريم (٢٠٠٣م)
- (١٠٩) الإسلام دين وأمة وليس ديناً ودولة (٢٠٠٣م)
- (١١٠) تفنيد دعوى حد النسخ (٢٠٠٤م)
- (١١١) الإسلام كما تقدمه دعوة الإحياء (٢٠٠٤م)
- (١١٢) تعميق حاسة العمل (٢٠٠٤م)
- (١١٣) تحديد الإسلام (٢٠٠٥م)
- (١١٤) جواز إمامة المرأة (٢٠٠٥م)
- (١١٥) هل يمكن تطبيق الشريعة؟ (٢٠٠٥م)
- (١١٦) دعوة الإحياء تفرض نفسها (٢٠٠٥م)
- (١١٧) ختان البنات (٢٠٠٥م)
- (١١٨) إخواني الأقباط (٢٠٠٥م)
- (١١٩) السيد رشيد رضا (٢٠٠٦م)
- (١٢٠) تفنيد دعوى حد الردة (٢٠٠٦م)

- (٢٠٠٦) الرد على البابا (١٢١)
 (٢٠٠٧) نعم للولاء .. ولا للبراء (١٢٢)
 (٢٠٠٨) جناية قبيلة (حدثنا) (١٢٣)
 (٢٠٠٨) قضية القبلات وبقية الاجتهادات (١٢٤)
 (٢٠٠٨) تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تلزم (١٢٥)
 (٢٠٠٩) هل حلق اللحية من الكبائر (١٢٦)
 (٢٠٠٩) من وثائق الإخوان المسلمون المجهولة (الجزء الأول) (١٢٧)
 (٢٠٠٩) من وثائق الإخوان المسلمون المجهولة (الجزء الثاني) (١٢٨)
 (٢٠٠٩) من وثائق الإخوان المسلمون المجهولة (الجزء الثالث) (١٢٩)
 (٢٠١٠) من وثائق الإخوان المسلمون المجهولة (الجزء الرابع) (١٣٠)

ملاحظة : وضعنا علامة (*) أمام الكتب التي صدرت باسم الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل .

(مترجمات)

- (١) النقابات في الولايات المتحدة (١٩٦٢م)
 (٢) النقابات في المملكة المتحدة (١٩٩٦م)
 (٣) النقابات في الاتحاد السوفيتي (١٩٦٢م)
 (٤) النقابات في السويد (١٩٦٢م)
 (٥) النقابات في بورما (١٩٦٢م)
 (٦) النقابات في الملايو (١٩٦٢م)
 (٧) الأزمة المقبلة (١٩٦٢م)
 (٨) العمالة والتنمية الاقتصادية (١٩٦٦م)
 (٩) مدخل لدراسة الأجور (١٩٦٦م)
 (١٠) الإدارة العمالية في يوجوسلافيا (١٩٦٧م)
 (١١) العمل يجابه عصرًا جديدًا (١٩٦٨م)
 (١٢) الديمقراطية النقابية (١٩٦٩م)
 (١٣) دستور منظمة العمل الدولية (١٩٧٠م)
 (١٤) اتفاقيات العمل الدولية (في مجلدين) (١٩٧١م)
 (١٥) توصيات العمل الدولية (١٩٧١م)
 (١٦) البرنامج العالمي للعمال (١٩٧١م)
 (١٧) المعارضة العمالية في عهد لينين لمدام كولونتاي (٢٠٠٤م)

وقد طبعت هذه الكتب ونشرتها باستثناء (٧) و (١٢) و (١٧) منظمة العمل الدولية بجنييف عن طريق مكتبها بالقاهرة)

المختار .. من البحوث والمقالات

وهو يضم عددًا من بحوث الأستاذ جمال البنا التي لم تنشر من عام ١٩٤٦ أو نشرت ونفدت طبعاتها ، ومجموعة من المقالات التي نشرت في الصحف مثل (القاهرة) و (نهضة مصر) و (الراية القطرية) .. وغيرهما ، اختيرت بعناية ليتمكن القارئ من الرجوع إليها والاستفادة منها ، وهي تكشف جوانب جديدة من فكر جمال البنا ، وقد صدر منها أربعة عشر جزءً ، خصصت أربع منها لمقالات جمال البنا في جريدة (المصري اليوم) من سنة ٢٠٠٦ إلى سنة ٢٠٠٩ ، وهناك مادة تغطي خمسة أجزاء أخرى سيتم طبعا .